



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة -



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشتغال خطاب الذاكرة في الرواية السيرية حنة ل: محمد الباردي

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إشراف الأستاذة:

- أ. حنية طبيش

تقديم الطالبة:

- رحيمة بحو

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عالمة خذري	أستاذ محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	رئيسا
حنينة طبيش	أستاذ محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	مشرفا ومقررا
هشام تومي	أستاذ مساعد - أ-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2017 - 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفْرَأَ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

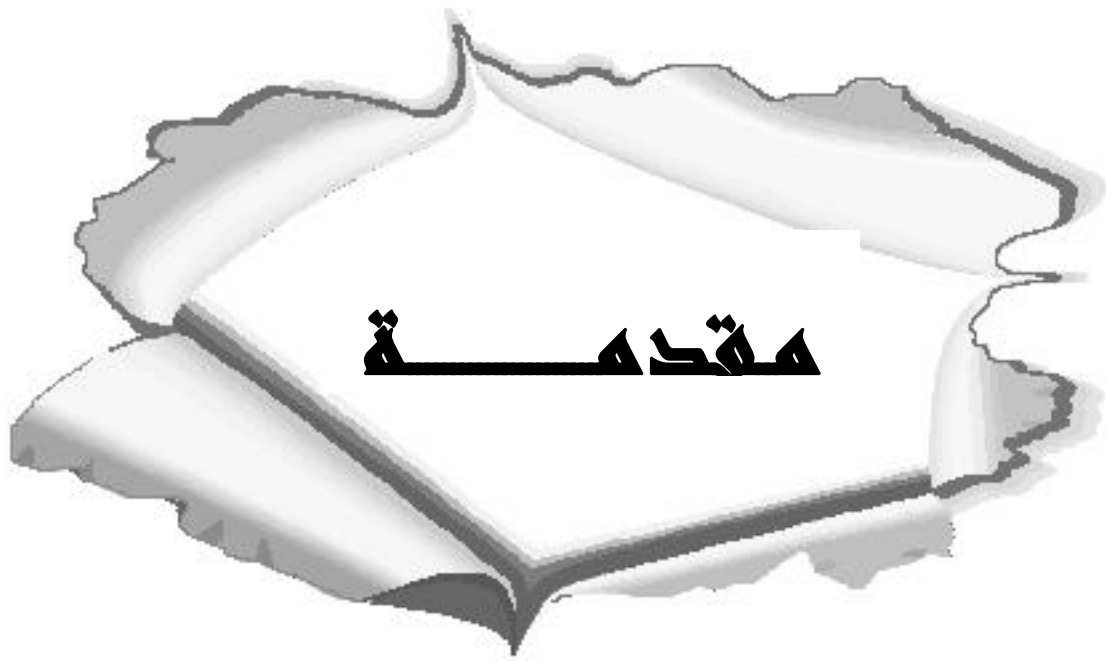
الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني في إنجاز هذا العمل وأتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث ومساندتي في مواجهة كامل صعوباته.

وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "حنينة طبيش" التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عوناً لي في إتمام هذا البحث.

كما لا أنسى والدتي العزيزة والفاضلة على مسانبتها لي منذ بداية مشواري الدراسي إلى غاية نهايته.

وكذلك أوجه شكري إلى عائلتي إخواني وأخواتي ولا أنسى صديقاتي الذين كانوا سندا لي لإتمام هذا العمل وشجعوني بكل الوسائل على مواصلة الدراسة.

- فمن لم يشكر الناس، لم يشكر الله -



مقدمة

مقدمة:

تعد الرواية من أكثر الأشكال الأدبية انتشاراً في الساحة الأدبية حيث طغت بذلك على جل الأعمال الأدبية للمبدعين، وذلك راجع إلى أنها تستهوي المؤلفين، فيجدون فيها ملاذهم، حيث تضع القارئ في عالم مسبوك بطابع سردي مشوق، ينتقل فيه الراوي من العالم الواقعي إلى عوالم الخيال.

إذن فالنص الروائي يجمع في بنيته بين المتناقضات المرجع والتخييل ليكسب رهان التجديد، وهذه مرونة جعلته لا يستتكمف عن الاستعانة بالأجناس الأدبية الأخرى مما أدى إلى ظهور أجناس هجينة، لها القدرة على استكناه الذات والواقع والمجتمع، كالرواية السيرية التي يتوسل فيها المبدع بتقنيات الرواية التخيلية وميثاق السيرة الواقعي.

ولعل أهم ما يجمع بين الجنسين هو الذاكرة بوصفها تقنية سردية يشتغل عليها كل من الروائي وكاتب السيرة، مما الخطاب الذاكراتي ينتعش ليصبح خطاباً مهيمناً في الجنس الهجين "الرواية السيرية".

ونحن لا نزعم بأننا كنا السابقين لمثل هذه الدراسة إذ لم نعثر على أي دراسة أو تحليل لهذه الرواية السيرية، وفيما يخص الدراسات النظرية فقد كانت قليلة وغير وافرة وخاصة في إدراج العلاقة بين الذاكرة والأجناس الأدبية الأخرى.

ومن الأسباب التي أثارت فضولنا للخوض في هذه الدراسة نذكر منها:

قناعتي بأن البحث، في الروايات السيرية تجعلنا نغوص في حياة الآخرين، ومعرفة تجاربهم سواء مع الأشخاص أو مع الحياة.

إضافة إلى كون هذه الرواية السيرية، لم تعرف دراسات من ناحية رصد اشتغال الذاكرة فيها، وأود أن أكون من السابقين لدراسة مثل هذا الموضوع.

كما لا ننسى حبنا للإطلاع، هو ما دفعني للغوص في غمار هذا الموضوع، وذلك من أجل تزويد رصيدنا المعرفي.

ومن هنا وجدت نفسي منساقاً إلى دراسة مثل هذا الجنس الأدبي، متخذةً بذلك من أعمال الروائي التونسي، محمد الباردي أنموذجاً لدراسة موسومة بـ: اشتغال خطاب الذاكرة في الرواية السيرية "حنة" لمحمد الباردي، رغبةً مني في بيان كيفية اشتغال الذاكرة في النص السري وكيف أنها يمكن أن ترتقي لتصبح تيمة مهيمنة عليه.

وقد وضعنا نصب أعيننا مجموعة من الأسئلة اجتهد البحث من أجل الإجابة عنها، يأتي في مقدمتها: كيف وسمت العلاقة بين الذاكرة والأجناس الأدبية الأخرى؟ ومنه علاقتها بالسيرة الذاتية، والرواية السيرية، والمذكرات والاعترافات...؟ كيف وظف الكاتب ذاكرته في نسج خيوط إبداعه؟ ما هي حدود المرجع والتخييل في الخطاب الذاكراتي؟

وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع استعمال المنهج البنيوي في تفهم بناء الشخصيات، إضافةً إلى آليتي التحليل والوصف في بيان كيفية اشتغال الذاكرة في النص السري. وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة،

أما المدخل فقد كان فاتحةً للولوج في الموضوع، حيث وسمناه بعنوان **الذاكرة بين اللغة والاصطلاح**.

في حين جاء الفصل الأول بموسوماً بـ **علاقة الذاكرة بالأجناس الأدبية منها السيرة الذاتية، المذكرات والاعترافات** بالإضافة إلى علاقة الذاكرة بالشعر والرواية.

أما بخصوص الفصل الثاني، فقد خصصناه للتطبيق لاستخراج، أهم مواطن اشتغال الباردي على الذاكرة. من خلال استثمارها في بناء الشخصيات إذ قمنا باستخراج أهم الأبعاد، التي تميزت بها الشخصية الرئيسية للحنة، تحت عنوان **خطاب الذاكرة وبناء الشخصيات**، ثم تطرقنا إلى كيفية استعمال الكاتب لبعض الضمائر والأفعال لتذويت ذاكرته.

ثم تطرقنا إلى قدرة الذاكرة على تجديد النص السري ورفده بالحكايا المتجدد فجاء العنصر الثاني موسوماً بـ **خطاب الذاكرة والتوالد الحكائي**.

ثم انتقلنا بعده إلى عنصر آخر، بعنوان **خطاب الذاكرة و التراث السري**، تطرقنا فيه إلى كيفية استغلال الكاتب للذاكرة التراثية السردية، مثل حكايات ألف ليلة وليلة.

ثم بعد ذلك فصلنا الحديث عن كيفية تجلي السمات الجسدية في الشخصية الرئيسية، تحت عنوان **ذاكرة الجسد**، وأشرنا فيه إلى أهم التمويهات الذاكراتية المتعلقة بعلاقة الطفل بالجسد وذلك من خلال الإسهاب في الاستعانة بالذاكرة الغيرية يليها عنصر آخر تحت عنوان **الذاكرة و الحناء**، والتي يبين فيها الكاتب مدى قدسية نبات الحناء في طفولته. منتقلين بذلك إلى محطة أخرى وأخيرة، متمثلة في عنوان **الذاكرة وهاجس المكان**، وفيه استدعى الكاتب أهم الأماكن التي مر عليها في مرحلة طفولته. وأعقبنا هذا كله بخاتمة وكانت كحوصلة للموضوع ككل، تطرقنا فيها إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها. وطعمنا بحثنا هذا بملحق، عرجنا فيه إلى التعريف بالروائي التونسي **محمد الباردي**، إضافة إلى ملخص الرواية.

و لا بد من الإشارة في هذه المقدمة، إلى أهم المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في إنجاز هذا البحث، والتي أنارت لنا درب البحث وسهلت علينا العمل نكر منها: المدونة التي نعمل على تحليلها ودراستها **حنة سيرة ذاتية روائية** لمحمد الباردي إضافة إلى العديد من المراجع منها:

"الطفل في حنة لمحمد الباردي" لحرورية لنقر، و**علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق** لعدينان يوسف العتوم، و**علم النفس المعرفي المعاصر** لأنور محمد الشرقاوي و**التشكيل السيرذاتي: التجربة والكتابة** لمحمد صابر عبيد.

بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية المترجمة، ك**الذاكرة أسرارها وآلياتها** لورن بوتني، و**السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي** لفليب لوجون، **الذاكرة والنجاح** لماري جوزيه كوشاير، و**الذاكرة مقدمة قصيرة جدا** لجوناثان كيه فوستر وغيرها من المراجع العربية والأجنبية المترجمة.

وختاما لا يخفى على أي باحث أكاديمي، مهما بلغت درجته العلمية في أنه من الضروري أن يواجه عقبات تعترض طريقه لاستكمال و إنجاز بحثه، فتجسدت هذه الصعوبات فيما يلي:

صعوبة إيجاد المادة العلمية، حيث أن إيراد مصطلح الذاكرة لم يكن متوفر في الكتب ولذلك اضطررنا إلى حصره في مجال علم النفس.

بالإضافة إلى الحواجز التي تعترض كل باحث ألا وهي مشكل إعاقة الكتب والبحث عن المصادر والمراجع.

ولعل أهم صعوبة واجهتنا في إنجاز هذا البحث، هو صعوبة الوصول و التحصل على المدونة.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى جامعة عباس لغرور - خنشلة- التي أتاحت لي فرصة الإنضمام إلى طلاب العلم، وإلى قسم اللغة والأدب العربي بخاصة، إلى أستاذتي الفاضلة "حنينة طبيش" التي تكرمت عليا بإشرافها على هذا البحث، فلها مني عظيم الشكر والتقدير والثناء لكل ما قدمته لأجلي، من معلومات وصبر وتشجيع، ودعم للمواصلة فخيوض غمار البحث، وإلى اللجنة المناقشة على ما بذلته من جهد وإخلاص في تصويب هذا البحث وتقويمه، وإلى كل عمال جامعة عباس لغرور وأخص بالذكر أساتذة كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، فلكم مني كل الثناء والشكر.

المدخل

الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

مدخل: الذاكرة بين اللغة والإصطلاح:

1- الذاكرة لغة:

2- الذاكرة اصطلاحا:

1-2 الذاكرة في الثقافة الغربية القديمة:

2-2 الذاكرة عند النقاد العرب المحدثين:

أ- جوناثان فولتر:

ب- أما هابر لاندت (Haberlandt):

ج- وعرف كل من بارون (Baron) وفيلدمان (Feldman):

و- وجاء مادلين بيرلي آلن

3- الذاكرة عند النقاد العرب المحدثين:

أ- أنور محمد الشرقاوي

ب- عدنان يوسف العتوم

ج- محمد قاسم عبد الله

د- رافع النصر وعبد الرحيم الزعول

هـ- جابر عبد الحميد

الذاكرة بين اللغة والإصطلاح:

تعد الذاكرة من السلوكات ذات الأهمية الكبيرة التي فطر عليها الإنسان، فهي صفة ربانية تقوم بتخزين المعلومات والخبرات التي يمر بها الإنسان في مختلف مراحل حياته، فالذاكرة لها قدرة على تطوير أساليبها واستراتيجياتها فتمنح للفرد إمكانية التذكر والاسترجاع وحفظ المعلومات.

ولذلك فإنها توصف بأنها سلوك مهم وأساسي في سيرورة حياة الفرد، ولعل ورود لفظة الذاكرة في الكثير من الكتب، جعل هذه الأخيرة تأخذ معان مختلفة، وذلك حسب المجال الذي ترد فيه.

وبما أن المجال الذي نبحث فيه هو المجال الأدبي فإن الكتاب قد اختلفت وجهات نظرهم حول مفهوم الذاكرة التي تعددت مفاهيمها في المعاجم اللغوية فقد جاء في:

1- جاء في لسان العرب:

«نكلاً: ذُكِرَ الخُفْظُ للشَّيءِ تذكُّره والذِّكْرُ أيضاً: الشَّيءُ يجري على اللسان والذِّكْرُ جرى الشَّيءِ على لسانك»⁽¹⁾.

2- وفي المعجم الوسيط:

«ذكر الشيء - ذكرا - ذكرا - ذكرا - وذكرى - وتذكارا: حفظه واستحضره أو جرى لسانه بعد نسيانه. ذكر ذكرا: جاء ذكره فهو ذكر وهي ذكرة. استذكر فلانا: ربط في أصبعه خيطا ليذكر حاجته والشَّيءِ ذكره والكتاب درسه للحفظ. الذاكرة: قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها»⁽²⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، طه، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، مج6، ص 36.

(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، طه، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص 313.

مدخل:.....الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

3- أما في معجم مقاييس اللغة فالذاكرة تعني: «ذكر: الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرع كلم الباب. ذكرت: الشيء، خلاف نسيته ثم حمل عليه الذكر باللسان ويقولون اجعله منك على ذكر بضم الذال أي لا تنسه»⁽¹⁾.

4- وجاء في المعجم المفضل في المترادفات في اللغة العربية: «ذكر: حفظ، قال، أورد، استحضر. ذاك: حاول، ناظر، شافه، خاطب، باحث. ذاكرة: واعية حافظة»⁽²⁾.

5- في حين نجد الذاكرة توصف في معجم نور الدين الوسيط ب: «ذاكر: مادة (ذك ر) • الذاكر: من يتذكر الأمور.

• فلان ذاكر ربه: يتذكره، ويخافه ويتقيه في السر والعلن.

• الذاكرة: مؤنث الذاكر: من يتذكر الأمور

• الذاكرة: الحافظة قوة تذكر الأشياء بعد مرورها، ويقولون أنها قوة نفسية.

أما ضعف الذاكرة فهو النسيان يقال:

• فلان قوي الذاكرة وذلك ضعيف.

• رجع فلان بالذاكرة إلى الطفولة.

وهذا أمر مطبوع في ذاكرة الناس.

هذا أمر من الذاكرة من الرأس»⁽³⁾.

6- وجاء أيضا في المعجم المفضل في الأدب: «الذاكرة: هي القدرة على حفظ الخبرات

السابقة واسترجاعها في الوقت المناسب، وتعيين الأديب صاحب الذاكرة القوة على

استرجاع الذكريات المتعلقة بالخبرات الوجدانية والفكرية»⁽⁴⁾.

7- أما معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة فهو يعرف الذاكرة بما يلي:

(1) أحمد ابن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، مج1، ص 446.

(2) مجيد طراد، المعجم المفضل في المترادفات في اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ص 241، 242.

(3) عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص 226.

(4) محمد التونجي، المعجم المفضل في الأدب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص 160.

«الذاكرة: قوة نفسية تحفظ الأشياء في الذهن وتحضرها للعقل عند الاقتضاء»⁽¹⁾.

ومن خلال تأملنا لمجموع هذه المفاهيم نجد أن محاولتهم لوضع تعريف للذاكرة تجعلنا نخلص إلى أنها تصب في مادة لغوية واحدة ألا وهي «ذك.ر» فهي توصف على أنها استحضار لما سبق من المعارف والتجارب وحفظها واستعادتها عند الحاجة، بالإضافة إلى ربط الذاكرة، بذكر الله سبحانه وتعالى حيث يقوم الفرد باستذكار ربه وخشيته واتقائه في داخل نفسه أو من خلال كلامه، وأيضا ارتبطت الذاكرة بقوة النفس البشرية على حفظ هذا الكم من الخبرات، ومن خلال المفاهيم أيضا نجد أن الذاكرة تعلق بحفظ الكتب وعدم نسيانها.

2- الذاكرة اصطلاحا:

تعددت المفاهيم الاصطلاحية للذاكرة، حيث نجد أن معظمها انبثق من الفلسفة وذلك نظرا لكون هذه الأخيرة تعد أم العلوم، بالإضافة إلى أنها تعد من أهم الخلفيات والمصادر التي تولد منها العلوم والنظريات الحديثة، وخاصة ما نجده عند الفلاسفة القدماء أمثال: أفلاطون، وأرسطو الذين خاضوا وأسهبوا في الحديث عن العديد منها.

ومن التعريفات الإصطلاحية الواردة في حق هذا المصطلح نذكر:

2-1 الذاكرة في الثقافة الغربية القديمة:

اشتهرت الكتب والثقافة الإغريقية القديمة بالفلسفة التي كانت بدورها منبعاً للعديد من المواضيع ومنها الذاكرة فهذا لورن بوتلي يبحث في كتابه الذاكرة أسرارها وآلياتها عن جذورها الأسطورية فيقول: «ربة الذاكرة منيموزين Mnemosyne في الأساطير الإغريقية هي نتاج العلاقة السفاحية بين أورانوس إله السماء وغايا Gaya ربة الأرض»⁽²⁾. إن الذاكرة إذن هي الخطيئة التي انبثقت عن علاقة السماء بالأرض ولكنها رغم هذا احتلت «مكانة مرموقة، وهي تيتانية شهيرة كانت تحكم الذاكرة... ومنيموزين هذه كانت تتمتع بعبقرية كافية لتتمخض عن ولادة ربات الفن التسع، اللواتي منحن مواهب البيان والخطابة والشعر

(1) يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2006، ص 727.

(2) لورن بوتلي، الذاكرة أسرارها وآلياتها، تر: عز الدين خطابي، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012، ص 13.

مدخل:.....الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

والمأساويات والفلك، إلخ... هكذا أنبأت منيموزين أم ربات الفن بأهمية الذاكرة في كل ما يمت بصلة إلى الفكر والعمل⁽¹⁾.

ومن هنا يظهر بأن الذاكرة في العصر الإغريقي ارتبطت بالآلهة ذلك من خلال منيموزين ربة الآلهة التي تنبتهت من خلال ذاكرتها إلى ولادة سيدات الفن الكوني ووضعن أساسيات للعلوم، حيث أعطت للذاكرة أهمية كبيرة وربطتها بالفكر والعمل.

أما أفلاطون فقد أدرج مفهوم الذاكرة في محاورته له مع فيثون في بحثه عن العنصر المفكر في الإنسان. يقول: «هل العنصر الذي نفكر بواسطته هو الدم أو الهواء أو النار؟ أم أنه لا واحد من بين هذه العناصر يقوم بذلك، مادام الدماغ هو الذي يمنحنا الإحساس والسمع والبصر والشم، الذي ينبثق عنها الذاكرة والرأي»⁽²⁾. يبرز مفهوم أفلاطون أن الذاكرة مرتبطة بالحواس كالشم والشمور، والسمع والبصر والتي يتميز بها جسم الإنسان وربما عنت عنده التفكير.

أما أرسطو قد ذهب إلى منحى آخر في إعطاء مفهوم للذاكرة وذلك من خلال قوله «كل شيء يسير وفق التداعيات فكل ذكرى تستدعي الأخرى وصورة شيء تجذب إليها صورة أخرى عندما تقوم بين الطرفين علاقة تشابه وتعارض وتجاور»⁽³⁾. يبين هذا القول بأن الذاكرة على حد مفهوم أرسطو تقوم على التداعي فهي ذاكرة تستدعي مجموعة من العلاقات والظروف والروابط في علاقة تكاملية بين الصورة والأخرى حيث أن هذه العلاقة قائمة على التشابه والتجاور أو التعارض.

ونخلص إلى القول بأن مفهوم الذاكرة في العصور القديمة مفهوم مرتبط بالجانب الفلسفي وذلك نظرا للتأثر الواضح والجلي بالفكر والفلسفة القديمة.

(1) ماري جوزيه كوشاير، الذاكرة والنجاح، تر: عمر كربوج، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة، 1992، ص 13.

(2) لورن بوتلي، الذاكرة أسرارها وآلياتها، تر: عز الدين خطابي، ص 14.

(3) المرجع نفسه، ص 15.

2-2 الذاكرة عند النقاد الغرب المحدثين:

اختلف النقاد في وضع مفهوم شامل للذاكرة وذلك نظرا لاختلاف وتعدد وجهات نظرهم، فقد تعدد تعريف هذه الأخيرة من ناقد إلى آخر فنجد في ذلك ما يلي:

أ- **جوناثان فولتر:** يعرف الذاكرة بأنها «ليست مجرد استدعاء معلومات صادفناها في فترة سابقة إلى أذهاننا، فكلما أثرت تجربة حدث سابق على شخص ما في فترة لاحقة، فإن أثر التجربة السابقة يعد انعكاسا لذكرى ذلك الحدث السابق»⁽¹⁾. ينطوي هذا القول على أن الذاكرة ليست مجرد استحضار معلومات معينة بصفة مطابقة للحدث، وإنما ربطها بمدى تأثير صاحب التجربة بما حدث له، ومنه فالإنسان يسترجع الأثر وليس الحدث.

ب- **أما هابر لاندت (Haberlandt):** «فالذاكرة عنده مرتبطة بالقدرة على تذكر ما تعلمه الفرد سابقا»⁽²⁾.

ج- وعرف كل من **بارون (Baron) وفيلدمان (Feldman):** «الذاكرة على أنها دراسة القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات وتخزينها واسترجاعها وقت الحاجة»⁽³⁾.

د- ويعرف **أندرسون (Anderson)** الذاكرة على أنها «دراسة عمليات استقبال المعلومات والاحتفاظ بها واستدعائها عند الحاجة»⁽⁴⁾. ومن هنا يتبين بأن هذه المفاهيم تدور حول أن الذاكرة لا تخرج عن مجالها ألا وهو استذكار والاحتفاظ بالمعلومات أو الخبرات واستحضارها وقت الحاجة.

و- وجاء **مادلين بيرلي آلن** بمفهوم آخر حيث قال بأنها: «مهارة، كأى مهارة أخرى يمكن تتميتها بالمران ومع التوجيه السليم يمكنك التعلم بشكل ممتع، كي تنمي قدرتك على التذكر

(1) جوناثان كيه فوستر، الذاكرة مقدمة قصيرة جدا، تر: مروة عبد السلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 08.

(2) عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 128.

(3) المرجع نفسه، ص.128.

(4) المرجع نفسه، ص.128.

مدخل:.....الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

تفاجأ بالكيفية السريعة التي ستنمي بها ما يمكن تذكره مع التمرين»⁽¹⁾. يتفرد مادلين بيرلي آن بوصف الذاكرة بأنها مهارة أي نشاط، يقوم به الإنسان ويطورها ويوسعها عن طريق مداومة تنشيط الدماغ وتمرينه على تطوير الذاكرة، بالإضافة إلى أنه يعدها مخزناً للمعلومات فهي تقوم بحفظها ومعالجتها واستحضارها وقت الحاجة.

3- الذاكرة عند النقاد العرب المحدثين:

تعددت الرؤى في رصد مفهوم واحد للذاكرة بين النقاد العرب نظراً لأهمية هذه الأخيرة في ترتيب الأحداث والمعلومات في الدماغ واستعمال هذه العملية التي تعرف بالذاكرة في استحضار هذه الأحداث في الحياة اليومية أو في وقت الحاجة إليها فنجد:

أ- يذهب أنور محمد الشرقاوي إلى أن الذاكرة لدى الإنسان تتميز بقدر كبير من تنوع العمليات التي يتضمنها، حيث تتولى بعض هذه العمليات تسجيل التفاصيل الدقيقة للصور الحسية لفترات طويلة، تمكن الإنسان من تحديد وتصنيف الأصوات والمرئيات والإحساسات الأخرى المختلفة، ومن جانب آخر تقوم الذاكرة بتسجيل جميع الخبرات التي نمر بها في مواقف حياتنا اليومية المختلفة لاستخدامها في الوقت المناسب»⁽²⁾. وبالتالي يصبح للذاكرة دور نفعي حيث تتحول إلى آلية دفاعية يستخدمها صاحبها عند الحاجة من خلال استحضار تلك الخبرات والأحداث المسجلة مسبقاً في العملية التعليمية.

ويستطرد في الحديث عن عملية التذكر حيث يعدها «من العمليات العقلية المعقدة حيث أنها تتناول عدة عمليات عقلية كالحفظ *réntention* والتعرف *recognition* والاستدعاء *Re.call*»⁽³⁾. ومنه فإن أنور محمد الشرقاوي ربط الذاكرة بعملية التذكر وعدها من العمليات الأساسية التي يعتمد عليها الإنسان، بالإضافة إلى ذكر جميع العمليات التي تقوم عليها الذاكرة والتذكر.

(1) مادلين بيرلي آن، مهارات تنشيط الذاكرة، تر: بشير العيسوي، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض، ص 23.

(2) أنور محمد الشرقاوي، علم النفس المعرفي المعاصر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003، ص 161.

(3) المرجع نفسه، ص 162.

مدخل:.....الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

ب- أما **عدنان يوسف العتوم** فيوافق رأيه مع ما جاء في التعريف السابق حين يذهب إلى وصفها بالعملية المعقدة، حيث «يعد مفهوم الذاكرة من المفاهيم صعبة التعريف لأننا نصف عملية معقدة ترتبط بعمليات الانتباه والإدراك والتخزين والاستجابة وغيرها...»⁽¹⁾. ومنه فإن الإمساك بمفهوم واحد للذاكرة على حسب رأي **عدنان يوسف العتوم** أمر صعب لأن هذا النشاط المتعلق بالذاكرة يرتبط بمجموعة من العمليات أهمها الانتباه وإدراك المعلومات ومنه تخزينها والاستجابة إلى تذكرها وقت الحاجة.

ج- وفي مقام آخر يذهب **محمد قاسم عبد الله** إلى القول بأنه «لا يوجد تعريف وحيد للذاكرة يمكنه أن يمثل وجهات النظر المختلفة حول هذه العملية النفسية المعقدة، ولكننا نستطيع أن نقول بشكل عام، إن الذاكرة هي القدرة على:

• التمثل الانتقائي.

• احتفاظ تلك المعلومات بطريقة منظمة في بنية الذاكرة الحالية.

• إعادة إنتاج بعض أو كل هذه المعلومات في زمن معين بالمستقبل وذلك تحت ظروف أو شروط محددة»⁽²⁾. ومنه فإن **محمد قاسم عبد الله** يقر بأن ضبط مصطلح الذاكرة ليس بالأمر الهين حيث يعد صعب المنال من جهة ومن جهة أخرى يقدم مفهومه الخاص حيث يقوم بربط الذاكرة بالصور الذهنية وبالعملية الانتقائية والاختيارية التي يقوم بها الإنسان إذا ما أراد أن يستحضر موقفا معينا أو معلومة معينة وذلك بما يتناسب مع الزمن والمستقبل وكذلك الظروف والشروط المحددة مع التنبيه على الطابع الانتقائي للذاكرة.

د- ويذهب **رافع النصر وعبد الرحيم الزعول** إلى أن الذاكرة توصف بأنها «العمليات العقلية التي تتم من خلالها اكتساب المعلومات والاحتفاظ بها لغايات الاستعمال المستقبلي»⁽³⁾

(1) عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 128.

(2) محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 105.

(3) رافع النصر الزعول، عماد عبد الرحيم الزعول، علم النفس المعرفي، دار الشروق، ص 20.

مدخل:.....الذاكرة بين اللغة والاصطلاح

إن الذاكرة عند الناقلين وسيلة تعلم فهي عملية عقلية تكسب الفرد مجموعة من المعلومات وتجعله يحتفظ بها من أجل استغلالها واستعمالها في المواقف المستقبلية.

هـ- أما جابر عبد الحميد فقد تحدث عن الذاكرة من منظور نفسي حين جعلها استجابة لمثيرات سابقة، وفي هذا يقول «نحن نحفظ بالمعلومات ونسترجعها أي نتذكرها وكثيرا ما ننظر إلى الذاكرة باعتبارها قدرة متعلقة تمكننا في الاستجابة لمثيرات معينة»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى أنه يصفها «بالذاكرة المخزنة للمعلومات واسترجاعها»⁽²⁾. ومنه توصف الذاكرة على حد مفهوم جابر عبد الحميد بأنها قدرة تستجيب إلى مثيرات اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية... إلخ وذلك على حسب الموقف وما يتطلبه من معلومات.

وفي النهاية نخلص إلى القول أن الذاكرة لها مفاهيم وتعريفات عديدة بحسب وجهات نظر الدارسين وكذا توجهاتهم، حيث نجد أن لكل واحد منهم رؤيته الخاصة، إذ نجد معظم الباحثين يضعون حدود للذاكرة، ويتوجهون إلى أنها عبارة عن عملية تخزين المعلومات وحفظها ومعالجتها واستدعائها في الظروف المناسبة، وارتباط هذه الأخيرة بمثيرات مختلفة تستدعي استرجاعها وتمثلها.

(1) جابر عبد الحميد وآخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 163.

(2) المرجع نفسه، ص 169.



الفصل الأول

الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية

الفصل الأول: الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية

1- الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية.

1-1 الذاكرة والسيرة الذاتية.

1-2 الذاكرة والمذكرات والاعترافات.

1-3 علاقة الذاكرة والشعر.

1-4 علاقة الذاكرة بالرواية.

1-5 الذاكرة والرواية السيرية.

1- الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية:

1-1 الذاكرة والسيرة الذاتية:

تختلف طرق وأساليب الروائيين في اختيار الجنس المناسب والطريقة التي تعبر عن إيديولوجياتهم وأفكارهم وهواجسهم فكل يعتمد الجنس الأدبي الذي يرى فيه القدرة على احتضان هذه الهواجس وتعد السيرة الذاتية واحدة من الأجناس التي أغرت المبدعين لخوض غمار المكاشفة القائمة على الذاكرة بالدرجة الأولى فهي حسب **فيليب لوجون** «حكي استعادي، نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»⁽¹⁾.

يتضح من خلال **لوجون** للسيرة الذاتية على أنها عملية سردية استنكارية استرجاعية يقوم فيها المبدع بسرد حياته الخاصة والفردية ويستطرد **محمد بوعزة** في تحليل مفهوم فليب لوجون للسيرة الذاتية من حيث تركيزه على وضعية السارد في السيرة الذاتية التي تكون متطابقة والشخصية الرئيسية في منظور استعادي للحكي بالإضافة إلى أن اللغة تكون على شكل حكي نثري أما الموضوع فهو يتمحور حول حياة الفرد وشخصيته الخاصة ويعد **ميثاق السيرة الذاتية** هو العنصر الأساسي الذي يجعل من الشخصية والمؤلف والسارد في وضعية تطابقية وهذا ما يبرزه **محمد بوعزة** من خلال تحليل النص السردى مستندا في ذلك إلى ما جاء به **فيليب لوجون** عن ميثاق السيرة الذاتية «يتحقق ميثاق السيرة الذاتية تطابق الاسم بين المؤلف السارد والشخصية»⁽²⁾. مما يفعل اشتغال الذاكرة بوصفها عملية ذهنية معقدة أولا، وبوصفها تقنية سردية وظيفتها تنظيم الأحداث ثانيا، وهذا ما يستجليه الناقد المغربي في تحليله لسيرة طه حسين "أديب"، حيث يقول عنها: «سيرة ذاتية يسترجع فيها السارد الكاتب طه حسين مراحل من حياته في طفولته وتعليمه الجامعي بالأزهر والجامعة المصرية، حيث يتطابق المؤلف مع السارد في ضمير المتكلم ويستحضر تجربته الذاتية كالإحاطة على طه

(1) فليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلى، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994، ص 22.

(2) سامر صنقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطني في نابلس، فلسطين، 2010، ص 119.

حسين في الأزهر والجامعة المصرية والإشارة إلى عمى الكاتب والاستعانة بخادمه الأسود الذي يرافقه في الطريق...»⁽¹⁾.

يوضح لنا كل من المفهوم والمثال أن السيرة الذاتية هي رصد كل ما يمرر به الفرد أو المبدع في حياته الشخصية من أحداث ومواقف وشخصيات وأماكن وذكريات وعلاقات مر بها في حقبة زمنية مضت وكل هذا العمل قائم على الذاكرة.

وبما أن السيرة الذاتية تصب في مفهوم الاستنكار والاسترجاع فهذا يجعل العلاقة بينها وبين الذاكرة علاقة وطيدة فهذه الأخيرة تستثمر على أنها مخزن للأحداث والوقائع واليوميات والذكريات الماضية وهذا ما عبر عنه محمد صابر عبيد «تعد الذاكرة علاقة مصدرا مهما من مصادر التمويل السير ذاتي»⁽²⁾. فمن خلال هذا النص تتبين درجة الأهمية التي تحظى بها الذاكرة بالنسبة لجنس السيرة الذاتية، فهي وسيلة تعتمد عليها هذه الأخيرة في استرجاع الأحداث الماضية التي بقيت حبيسة ومسجونة تنتظر من يدفعها للبروز والظهور في قالب نثري سردي جمالي، فطالما اعتمدت السيرة الذاتية على الذاكرة اعتمادا كلي في طرح ما يختلج الذات من أحداث ومحطات قديمة متعلقة بالروائي أو السارد بل إن التذكر هو خزان كاتب السيرة حيث «يستلهم الأحداث من واقع عاشه معتمدا في ذلك على مصادر متنوعة كالرسائل والمذكرات والذكريات وشهادات الأحياء وغيرها»⁽³⁾.

يؤكد هذا القول من جديد أن كاتب السيرة الذاتية يأخذ مادته من الذكريات والأحداث الواقعة المتعلقة بحياته فهي لم تعد تستدعى بوصفها مخزنا لذكريات ماضية فقط بل تتعدى ذلك إلى كونها عنصرا ضروريا ومهما في تقديم مادة وموضوع الإبداع وكذلك بيان الأفكار والإيديولوجيات التي يدافع عنها صاحب السيرة.

وفي مقام آخر يبين عبد القادر الشاوي التحول القائم في علاقة النص بالمرجع والذات، حيث تحولت «من علاقة النص بالتاريخ إلى علاقة النص بالذات مثلما أضحي الموضوع

(1) محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ص 33.

(2) المرجع نفسه، ص 34.

(3) محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي التجريبية والكتابة، دار نبوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2012، ص 39.

المركزي للدراسة مشدودا إلى الكيفية التي يستطيع بها النص تمثيل الذات لن تعد الأفعال موضوع للدراسة بل التصور الذي يقدمه الكاتب عنها، ولم تعد الذاكرة بمثابة حزن للذكريات بل عنصرا فعالا في تقديمها⁽¹⁾. إن الذاكرة هنا عنصر فاعل في تحويل هذه العلاقة بوصفها تقنية سردية تخيلية لا تنقل لنا الحدث كما هو بل كما تصوره كاتب السيرة.

ونخلص إلى القول أن الذاكرة تعد عنصرا أساسيا وجوهريا في كتابة السيرة الذاتية، بل هي الخزان الرئيس الذي يمد الكاتب بمادته الحكائية بما في ذلك الوقائع والذكريات والأيام الماضية، إضافة إلى قدرتها على تخيل الأحداث مما يعطيها لمسة جمالية.

1-2 الذاكرة والمذكرات والاعترافات:

تعد الذاكرة من العناصر الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالمبدع ذلك لما تحمله هذه الأخيرة من أهمية كبيرة في تزويد المؤلف بأحداث وتجارب عديدة تجعله يتميز عن غيره في سرد أحداثه فهي مجموعة من الأنظمة يلعب كل منها دورا مختلفا في خلق الذكريات وتخزينها واسترجاعها⁽²⁾. ونظرا لما تحتوي عليه هذه الأخيرة من خصوصية فهذا يجعلها مصدرا ممولاً للكثير من الأجناس الأدبية وكذا الفنون فهي تتسج علاقات وطيدة وحميمة معها.

فعلاقة الذاكرة بالمذكرات مثلا تكمن في أن كلاهما، انبثق من مادة واحدة ألا وهي مادة ذكر، بالإضافة إلى أنهما يشتركان من حيث الدور الذي يقدمانه للمبدع، فالذاكرة من جهة تساعد المؤلف في صياغة لعبة تعبير سردي تعيد من خلاله إنشاء الزمان والمكان في ضوء أحداث ووقائع وتجارب واقعية متذكرة. ومن جهة أخرى تعرف المذكرات على أنها «أحد أنماط التشكيل السير ذاتي»⁽³⁾. وفي موضع آخر تعرف على أنها «حكي استرجاعي يقوم فيه الروائي المذكراتي بوصفه مشاهد بمراجعة مدونات سبق وأن سطرها في ظروف

(1) عبد القادر الشاوي، الكتابة الوجود السيرة الذاتية في المغرب، إفريقيا للنشر، 2000، ص 162.

(2) تقنيات الذاكرة، سوزان رمضان الشوا، ط1، 2006، ص 17.

(3) محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي التجريبية والكتابة، دار نبوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2012، ص 57.

معينة»⁽¹⁾. ومن هنا يتبين أن كلا من الذاكرة والمذكرات توصفان على أنهما سرد استرجاعي واستذكاري يقوم فيه الروائي بالتعبير عن مجموعة من المشاهد والأحداث والتجارب والأشخاص التي مرت عليه في فترة زمنية معينة حيث تبقى مخزنة وحببسة ويقوم المبدع بدفعها واستخراجها في عبارات جمالية فنية. فالمذكرات تقوم باستثمار عملية التذكر وتدفع بالذكريات المخزنة بالفرار من عملية التخزين وكذا تسمح للمؤلف بتغيير نمط الكتابة فتدفعه من الكتابة في الحاضر إلى الماضي.

أما المفهوم الثاني للمذكرات فهو يركز على أنها «حكي استذكاري ينقل تجارب الماضي المعاشة إلى الناشئة وتعتمد نظرة توليفية للأحداث تسمح بإعادة ترتيب الوقائع بما يوافق رغبة الكاتب»⁽²⁾. ومنه يظهر بأن المذكرات هي نقل مجموع التجارب المختلفة للكاتب عبر مختلف مراحل حياته فهو يقوم برواية أحداثه بالتقنية والأسلوب الذي يتماشى وسياسة سرده للأحداث حيث يكون الروائي أكثر حرية في سرد مرويات معينة وإغفال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوة»⁽³⁾. فالمذكرات تمنح للمؤلف كامل الحرية في إيراد بعض التجارب وحذف بعضها زيادة في ذكر سلبيات هذه التجارب أو إنقاصها وهذا ما يعطي الأحداث والوقائع بعدهما التخيلي.

أما فيما يخص الاعترافات فهي قسم من أقسام الترجمة الذاتية وعلاقتها بالذاكرة تكمن في أن الاعترافات تنقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم لا يألفه الآخرون حيث تأتي هذه الاعترافات بطريقة فورية فجائية، وبما أنها فجائية فهي تتبع من الذاكرة أي أنها مخزنة وتنتظر اللحظة التي تخرج فيها. ولعل أكثر مجال اهتمام فكرة الاعترافات هو المجال الديني وذلك من خلال اعترافات القديس أو غسطين حيث شاع هذا النوع في القرن الثامن عشر في أوروبا.

(1) المرجع السابق، ص 57.

(2) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص 146.

(3) محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة، ص 57.

1-3 علاقة الذاكرة والشعر:

يعد الشعر منذ قديم الأزل من الأجناس الأدبية الأكثر انتشارا وشيوعا عند العرب، إذ كانوا يعتبرونه هو ديوانهم ومخزن أساطيرهم ومعلوماتهم وحكاياتهم، فكانوا إذا ما أرادوا أن يمدحوا أحدهم أو يذموه أو يهجونه فقد كانوا يلجؤون إلى الشعر.

وبما أن الشعراء كانوا ينفسون عما بداخلهم من خلال الشعر فقد تعدد مفهومه واختلف بحسب كل شاعر والحالة التي يريد التعبير عنها، فهو يعرف على أنه كلام موزون ومقفى يعبر به الشاعر على ما يختلج صدره من أحاسيس ومشاعر وتجارب يريد الحديث عنها في مجموعة من الكلمات يضبطها وزن وقافية.

و بما أن الشعراء يقومون بنسج تجاربهم اليومية والماضية في جنس أدبي يعد من أهم الأجناس الأدبية فهم يعتمدون في ذلك على الذاكرة، فما العلاقة القائمة بين هذه الأخيرة والشعر؟

يستطيع المبدع أن يرحل بنا إلى عوالم أخرى خاصة الشعر الذي يعتمد على الذاكرة باسترجاع سياقات ماضية ودمجها بالخيال ليشكل لنا نصوصا إبداعية تحتوي على أحداث يستطيع من خلالها أن ينقل لنا تجربته بطريقة فنية جميلة.

وطبيعي أن يستقي الشاعر الجاهلي من ذاكرته، وما الوقوف على الطلل إلا نوع من أنواع الوقوف على أعتاب الذاكرة، حيث يقف على بقايا ديار المحبوبة فيتذكر الشاعر عن طريق المفارقة الصادمة ذلك الماضي الجميل الذي ما يفتؤ أن يمتزج بمشاهد الخراب والفناء، فلا يجد الشاعر بعد المساءلة العبثية سوى الدموع ملاذا، وفي هذا يطالعنا أمرؤ القيس قائلا:

شَدِّفَائِي عَابِرَةً مُهْرًا أَقْدَةً رَفِيَّةً * لِمِ عَارِيسٍ مِّنْ مَّعْوَلٍ؟⁽¹⁾

ومن هنا نجد أن الشعراء المحدثين استندوا في تأليف شعرهم على الذاكرة فجعلوا منها محطة أولى لرسم إبداعهم وهذا ما نجده لدى إحدى الشعراء المحدثين ألا وهو عبد الحليم مخالفة الذي رجعت به الذاكرة عوالم كتاب ألف ليلة وليلة فنسج قصيدته على منوالها

(1) الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلمات السبع، مج1، 1993، ص 15.

مستخدما تقنية التناص التفاعلي فجاء العنوان المحول شهرزاد والليلة الثانية بعد الألف.ومنه فإن القصيدة تعيد المتلقي إلى الوراء فهي تجعله يتذكر ويستحضر ما ورد في النص الأصلي. من خلال استثمار تقنية التناص من بشكل كثيف في إبداع الشاعر حيث «تنتشط كتابة المتن من ذاكرة الليالي فيتناص الشاعر مع ألف ليلة وليلة شكلا ومضمونا ولكن تبدأ شهرزاد الشاعر من حيث انتهت شهرزاد الليالي»⁽¹⁾.

ومنه فإن اعتماد المبدع على ما خزنته ذاكرته التراثية من معلومات وأحداث عن كتاب ألف ليلة وليلة استطاع أن يبدع نصا جديدا مليء بأحداث ووقائع أصبحت من قبيل الذاكرة الجماعية، فيقوم هو باستنكارها واسترجاعها في قالب فني وجمالي.

ومن هنا نخلص إلى القول بأن العلاقة بين الشعر والذاكرة علاقة وطيدة حيث أن الشاعر يعتمد على الذاكرة في صياغة وبناء فرادته التي تبين تجربته، وأهم الأحداث التي يريد أن يبينها، وهذا ما نجده في شعر المعلقات وكذا في الأشعار الأخرى، فنجد بأن الشاعر يستذكر الأحداث والوقائع الماضية ومنه يذكر مواصفات محبوبته وأهله فمثلا يذكر مكان جلوسه وسمره مع أهله وكذلك يذكر مكان الطهور ومكان كرم أهله مع الضيوف وكذلك ذكر أهم الحروب والانتصارات وكذلك أهم الشخصيات التي عرفها ذلك الزمن، وكل ذلك استنادا على الذاكرة. وتشكل تقنية التناص مع التراث وجها من أوجه حضور الذاكرة، إنه حلول الأب في الابن.

1-4 علاقة الذاكرة بالرواية:

تعد الرواية الجنس الأدبي الأكثر انتشارا وشيوعا في الساحة الأدبية، فهي تستقطب العديد من المبدعين سواء كانوا أدباء أو شعراء...إلخ للخوض في الإبداع و التفنن في هذا الجنس ، ونظرا للتنوع والاختلاف الذي تعرفه الرواية في طرائق وأساليب كتابتها، فهي لا تخضع ولا تحصر مبدعها أو مؤلفها في نظام محدد بتقنية معينة، إنما هي جنس يتميز بالزبئية والتلون والتعددو والمرونة، حيث تختلف فيه الرؤى والتقنيات، وهذا ما دفع المبدعين

(1) شادية شقروش، شظايا الذاكرة في قصيدة شهرزاد الليلة الثانية بعد الألف لعبد الحليم مخالفة، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، 19 جوان 2017، ص 486.

والنقاد إلى اختلاف تعريفاتهم للرواية فكل يصنع حدا لهذا الجنس حسب وجهة نظره وكذلك إيديولوجيته الخاصة. فهذا **فتحي إبراهيم** يصف الرواية على أنها «سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد...»⁽¹⁾. ومنه يظهر بأن الرواية ربطت بمجموع الأحداث والوقائع التي تحدث مع شخص معين ويقوم بدوره في سردها في قالب قصصي سردي.

وفي مقاربة أخرى لوضع مفهوم للرواية نجد لطيف زيتوني يصفها بأنها نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم وهي تمثيل للحياة والتجربة⁽²⁾. ويتبين من خلال المفهومين بأن الرواية تتمحور حول أنها فن نثري يبنى على مجموعة من الشخصيات والأماكن والأزمنة لسرد أحداث ووقائع عاشتها الشخصية.

ويعتمد الروائي أو مؤلف الرواية في حكيه للأحداث على تقنية السرد التي تعد هي البؤرة المركزية والأساسية التي يعتمدها الروائي في نسج أحداث إبداعه. وإذا ما أردنا أن نورد العلاقة بين الرواية والذاكرة علينا المرور على علاقة الذاكرة بالسرد، ومنه تعرف التقنية السردية على أنها «الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي الحاكي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، فكأن تقنية السرد هي نسيج من الكلام ولكن بصورة حكي»⁽³⁾، ومن خلال المفهوم يتبين بأن تقنية السرد هي الركيزة والوسيلة التي يعتمدها الروائي في رصد أحداثه.

ومن جهة أخرى تعرف الذاكرة على أنها «القدرة على حفظ الخبرات السابقة واسترجاعها في الوقت المناسب»⁽⁴⁾. ومن خلال المفهومين تظهر العلاقة بين الذاكرة والسرد فنجد الروائي يستحضر مجموع تلك الأحداث والخبرات السابقة الموجودة في الذاكرة ويستمد منها الوقائع والذكريات حيث يقوم المبدع بحكيها عن طريق هذه التقنية أي باستخدام وسيلة وطريقة

⁽¹⁾ فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، المؤسسة العربية للناشرين المتحددين، الجمهورية التونسية، 1988، ص 176.

⁽²⁾ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص 99.

⁽³⁾ أمّنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 39.

⁽⁴⁾ محمد التونجي، المعجم المفضل في الأدب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص 126.

وأسلوب السرد في رصد الحالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والشخصية التي تسهم الذاكرة بدورها في ردها وتمثيلها.

فالذاكرة تتمثل وتتضح من خلال السرد، بالإضافة إلى أنها تقدم أحداث وقيم ومعان تعمل على تأييد الفضاء الروائي بأحداث سردية تستحضر الماضي في الحاضر، والمكان القديم في المكان الجديد فتعتمد الرواية في تشكيلها الأساسي على تسريد الذاكرة. إذ نرصد في الروايات المبدع وهو يستحضر ويسترجع الأحداث والوقائع عن طريق التقنية السردية التي بدورها تعتمد على الشخصيات، أي أن الروائي يستعمل تقنية استنكار الشخصيات، وكذلك الأماكن والأزمنة والمواقف والأحداث ومغامرات الشخصية المتعلقة بحياته.

ومنه تظهر العلاقة التكاملية بين الرواية و الذاكرة بوصفها تقنية سردية، فالذاكرة توصف تارة على أنها تقنية من خلال بنية الشخصيات والمكان والزمان، وتارة تعد مادة سردية فتعتمدها الرواية لسرد أحداثها والذاكرة كتقنية لإيراد وقائعها فتجعل من الذاكرة سمة إبداعية يتميز بها العمل الأدبي عن غيره.

وليس غريباً أن تتسج الرواية علاقة حميمة مع الذاكرة فهي «جنس أدبي مترامي الأطراف يفتح الأبواب أمام بقية الأجناس الأدبية للأخذ من ميزاته ويمد هو الآخر أطرافه ليدخل في دائرة الأجناس الأخرى، فيحدث بذلك أجناس جديدة تمتاز بالتطور والحركة»⁽¹⁾. فهذا الانفتاح والقبالية المستمرة للتجدد والتطور، يدفعها إلى استثمار كل العناصر القريبة منها والقصية عنها لتستند إليها في بناء أحداثها ووقائعها بما في ذلك الخيال والواقع «فمؤلف الرواية يستمد وقائعه وأحداثه من الواقع، والواقع متجدد غير ثابت والخيال كذلك واسع شاسع لا يمكن حده»⁽²⁾.

وبما الواقع واحد من روافد الروائي في إبداعه ، فإن الذاكرة هي وسيلة استحضار واسترجاع ما حدث من وقائع، ولكن هذا الاسترجاع ليس حرفياً وهذا يؤكد رفعت سعيد حين يذهب إلى القول بأن الذاكرة تعجز في كثير من الأحيان على استحضار تفاصيل دقيقة

(1) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ط1، ضحى للنشر والتوزيع، 2013، تونس، ص 18.

(2) المرجع نفسه، ص 18.

لبعض الأحداث والذكريات الماضية لأنها «دوما ذات ثقب و لا اكتظت بما يتقلها ويهددها بالتبدد بين ما هو مهم وما هو غير ذلك»⁽¹⁾. إن هذا الانتقاء الذاكراتي يسهم في فتح باب الخيال الذي يعد عمود الرواية.

إن الذاكرة بهذا المعنى تكون مخادعة ولا يعول عليها، فهي غير موثوق بها في استحضار كل المشاهد والأحداث التي وقعت، فتكون التفاصيل فيها مقطعة وغير كاملة ودقيقة وهنا يأتي دور الروائي في الاستعانة بالخيال فهو تقنية أساسية في الرواية، فهو يلعب دورا مهما في سد الفراغات والنقائص التي تحدثها الذاكرة، حيث أن الروائي «... يلجأ إلى مزج الواقع بشيء من الخيال ويوظف هذا الخيال في اختراع بعض الأحداث أو خلق بعض الشخصيات أو تغيير بعض الوقائع والسلوكيات أو تبديل الطبائع المواقف والرؤى والإيديولوجيات بحيث يخرج المؤلف نصه من سرد جاف وإعادة مملة ليجعله أكثر حيوية...»⁽²⁾.

ويجدر بنا في هذا المقام الإشارة إلى ما يسمى تقنية الاسترجاع بوصفها أحد أنماط اشتغال الذاكرتي داخل النص السرد، والروائي على وجهه، ويعني «أن يترك الراوي مستوى القصة الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية يرويها في لحظة لاحقة لحدثها، وهو ثلاث أنواع: استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية الرواية، واسترجاع داخلي يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية واسترجاع مزجي بين النوعين السابقين»⁽³⁾. ومنه فإن الاسترجاع أو الاستنكار هو عملية يقوم فيها الراوي باسترجاع أحداث سابقة للحظة الراهنة سواء أكان هذا الماضي قريب من أو بعيد، حيث أن هذه العودة إلى الوراء أو إلى الماضي لها غاية وهدف يوحي إليه المبدع كملء الثغرات في النص مثل أوالى إيرادات الدلالات الجمالية التي تضيفها الذكريات على النص.

(1) رفعت سعيد، مجرد ذكريات، دار المدى للطباعة والنشر، مصر، 1999، ص 7-8.

(2) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ط1، ضحى للنشر والتوزيع، 2013، تونس، ص 30.

(3) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ط1، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2003، ص

ومما سبق نستطيع الجزم بأن العلاقة بين الذاكرة وتقنية الاسترجاع تكاد تجعل القارئ لا يفرق بينهما حيث أن كلاهما يربطهم عنصر مهم ألا وهو عنصر التذكر فالذاكرة تعتمد على الأحداث الماضية ومنه فإن الأجناس الأدبية تستغل هذه الأحداث في تكوين وقائعها بالإضافة إلى أن الاسترجاع لا يخرج عن هذه الدائرة فهو أيضا يعمل على استنكار واستحضار الأحداث والوقائع الماضية ومنه فهما يصبان في حيز واحد حيث يستغلها المبدع في نسج إبداعه وجعل القارئ يجول في عوالم مختلفة، فمرة يجد نفسه في الماضي ومرة يجد نفسه في الحاضر وهنا تحدث المفارقة في الأحداث ومنه نجد الجمالية والشعرية التي تجعل من العمل الأدبي مميّزا.

وما يمكن قوله هو أن العلاقة بين الرواية وخطاب الذاكرة علاقة وثيقة تكاملية ذلك من خلال أن النقص والنسيان الذي تتميز بهما الذاكرة في استنكار واستحضار بعض الأحداث بتفاصيلها الدقيقة تأتي المخيلة التي أوكلت لها مسؤولية تعبئة تلك النقائص وتخليص الروائي أو المؤلف من الجماد ومجرد سرد وحكي لأحداث مضت بل مساندة ذلك السرد بمشاهد وأحداث حافلة بالحيوية والحركة مما الروائي يحس بفرادة وتميز عمله وتجربته وإحساسه عن طريف المزج بين المرجع والخيال.

1-5 الذاكرة والرواية السيرية:

شهد فن كتابة السيرة الذاتية تطورا مع مرور الزمن فهي لا تنحصر في كتابات المؤرخين بل إنها تتعدى ذلك إلى الاندماج مع ألوان وفنون أدبية أخرى مثل: المذكرات واليوميات والرواية... ولعل الرواية هي أكثر الأجناس الأدبية قرابة مع السيرة الذاتية وذلك نظرا للعلاقة الوثيقة بينهما حيث لم تعد هناك حدود تضبط هذه العلاقة فأصبحت بذلك جنسين مكملين لبعضهما، وهذا أدى إلى انبثاق وولادة جنس أدبي حديث وهو الرواية السيرية فعلى حد قول فليب لوجون هي «كل النصوص التخيلية التي يمكن أن تكون للقارئ فيها دوافع ليعتقد انطلاقا من التشابهات التي يعتقد أنه اكتشفها أن هناك تطابق بين المؤلف والشخصية في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق أو على الأقل اختار أن لا

يؤكد⁽¹⁾. يبين هذا المفهوم أن الرواية السيرية لا تلتزم بتطابق السارد والمؤلف والشخصية بل هي تخوض وتتعمق في التخيل بل إنها تستغل المسافة بين السارد والشخصية والروائي لخلق فضاء تخيلي.

إن حداثة هذا الجنس الأدبي جعلت النقاد يختلفون في وضع مصطلح دقيق وشامل، حيث تعددت واختلفت تسميات الرواية السيرية فهناك من اصطلح عليها الرواية السيرة أو الرواية السيرية أو الرواية السير ذاتية ومنه فإن «الرواية السير ذاتية: حسب التعريف التقليدي هي رواية استذكارية يكتبها شخص ما حول تاريخ حياته أو حول مراحل معينة منها... كونها استرجاع انتقائي ذاتي الاختيار لذاكرة تتلاشى فيزيولوجيا يوما بعد يوم»⁽²⁾. من خلال هذا المفهوم يتبين أن الرواية السير ذاتية هي عملية استذكارية استرجاعية لتاريخ حياة مؤلف ما، حيث تعتمد على الذاكرة في انتقاء الأحداث المراد ذكرها.

أما محمد صابر عبيد فقد عرفها على «أنها عمل سردي روائي يستند في مدونته الروائية إلى السيرة الذاتية للروائي حيث يعتمد الحادثة الروائية في سياقها الحكائي اعتمادا شبه كلي على واقعة سير ذاتية واقعية»⁽³⁾. ومنه يظهر بأن الرواية السير ذاتية تستمد مادتها من السيرة الذاتية حيث يقوم كاتب هذا الجنس الجديد بالمزاوجة بين المرجع والواقع والتخيل لأنه يعتمد على الذاكرة بوصفها مصدر أساسيا ومرجعية مهمة للصور والأحداث والحالات والتجارب التي عاشها في مختلف مراحل حياته مع وجود لمسة تخيلية.

فالروائي يأخذ من السيرة الذاتية الصيغة ومن الرواية الجانب التخيلي فنجد بأن علاقة الذاكرة والرواية السير ذاتية لا تخرج عن نطاق علاقة الذاكرة بكل من السيرة الذاتية بوصفها الجنس الأدبي الذي تستخدمه الذاكرة ساحة واسعة لتوظيف الذكريات الحبيسة في مخزنها

(1) فليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994، ص 37.

(2) كريمة غيتري، جمالية الرواية السيرية رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013، ص 49.

(3) محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشورية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2007، ص 115.

بالإضافة إلى الاستعانة بعمود الرواية ألا وهو الخيال الذي بدوره يساهم في تعديل وملء النقاىص التي تحدثها الذاكرة بسبب النسيان.

إن حداثة هذا الجنس الأدبي جعلت الأدباء العرب يتوجهون إلى هذا النوع نظرا لتوافقه ور غبتهم، حيث يسمح للروائي بالانفلات من القيود التي تفرضها الأجناس الأخرى، ومن هنا يستطيع المؤلف الخوض في الممنوع وكشف المستور بتقنية جمالية فنية، ونذكر من هذه الروايات السيرية رواية زينب لمحمد حسين هيكل، والحي اللاتيني لسهيل إدريس وإبراهيم الكاتب المازني، وسيرة المنتهى لواسيني الأعرج، وحنة لمحمد الباردي.

ولعل أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا وتداخلا مع الرواية هي السيرة الذاتية فكلاهما يصوران الواقع المعاش، فالواقع يعد مرجعا في الرواية وميثاقا في السيرة الذاتية ولكن الروائي إذا ما أراد أن يؤلف سيرة ذاتية فعليه أن يتجنب الانسياق نحو تصوراته وخيالاته وذلك لكي لا يبتعد عن السيرة الذاتية وتقنياتها «..فمؤلف السيرة يجب أن لا ينساق وراء تصوراته وخيالاته حلة لا يبتعد عن السيرة الذاتية ومقوماتها»⁽¹⁾.

ومنه فإن الذاكرة فرضت وجودها على العديد من الأجناس الأدبية وجعلت العلاقة بينهما علاقة وطيدة كالسيرة الذاتية والرواية والمذكرات والرواية السيرية، فهي تعد مادة محورية يعتمدها الروائي في تأنيث فضاء إبداعه.

(1) المرجع السابق، ص 18.



الفصل الثاني

إشغال الذاكرة في حنة

الفصل الثاني:

- 1- خطاب الذاكرة وبناء الشخصيات.
- 1-1 الذاكرة والبعد الجسدي.
- 2-1 الذاكرة والبعد النفسي.
- 3-1 الذاكرة والبعد الاجتماعي.
- 2- التذويت في الذاكرة.
- 3- خطاب الذاكرة والتوالد الحكائي.
- 4- خطاب الذاكرة والتراث السردي.
- 5- ذاكرة الجسد.
- 6- الذاكرة والحناء.
- 7- الذاكرة وهاجس المكان.

1- خطاب الذاكرة وبناء الشخصيات:

يعد فن الرواية السيرية من أرقى الأجناس الأدبية وأكثرها انتشارا وشيوعا، ولذلك نجد معظم المبدعين الروائيين يندفعون نحو كتابة مثل هذا الفن ومنه نجد محمد الباردي يبدع في روايته السيرية المعنونة بـ"حنة" التي تحمل في طياتها مغامرات وحياتة طفل يسعى إلى استذكار أحداث ووقائع حياته الماضية وكذلك حياة أو مواقف أحد الشخصيات والأماكن التي كانت لها وقع وأثر عميق في نفسية الكاتب لذلك سعى إلى كتابة هذا الفن من أجل إيصال هذا الواقع إلى المتلقي.

إن انتماء حنة إلى الجنس الهجين ممثلا في "الرواية السيرية" جعل خطاب الذاكرة يحضر وبقوة ليؤطر عوالمها السردية بما في ذلك بنية الشخصية، وفيما يلي نتبع اشتغال خطاب الذاكرة في نص حنة وكيف أسهم في بناء الشخصية:

1-1 الذاكرة والبعد الجسدي:

يهتم البعد الجسدي بالبحث عن أهم الصفات التي يستعملها السارد ليصف الشخصية الرئيسية، وأهم ما تميزت به ومنه قام المبدع باستذكار بعض الموصفات، فاستعان الكاتب بالذاكرة في وصف الطفل، إلا أن السارد لم يتوسع في ذكر الصفات بل اكتفى بذكر بعض منها فقط. فقد كان انشغاله متوجها إلى استحضار واستذكار الأحداث والوقائع والشخصيات حيث لم يكن السارد يهتم بالجمال والقبح الذي تتصف به الشخصية الرئيسية. ولعل ما جعل السارد يتخلى عن ذكر الموصفات في فقرة واضحة الملامح هو أن الطفل لم يكن يتميز بصفة تجعله مختلفا عن غيره فهو طفل مثله مثل بقية أقرانه، لم تكن له علامة جسدية كأن يكون أعمى أو أصما أو أبكما أو معاقا مما يجعله يستطرد في وصف الجسد واللامح، وهذا ما تؤكد حورية لنقر من خلال قولها «ولعل إيضاح الملامح يكون أكثر ضرورة إذا ما كان في الشخصية ما يميزها من غيرها أو إذا كانت الشخصية شاذة ليس لها مثل»⁽¹⁾.

(1) حورية لنقر، الطفل في "حنة" لمحمد الباردي، ط1، ضحى للنشر، تونس، 2013، ص 46.

ف نجد أن الطفل على علاقة بعالمه ومحيطه وعائلته مباشرة أي أنه لم ينشغل بإخفاء علامة خصوصية بل كان يعيش حياته على طبيعتها فلا شيء يجعله كائناً خارقاً بمزايا جسدية، وحيث لم يكن فيه ما يمنعه من إدراك العالم من حوله. وهذا ما جعل «هذه السيرة الذاتية الروائية تختلف عن بعض السير الأخرى، فنحن حين نطالع كتاب الأيام لطفه حسين نجده يطنب في ذكر عاهته الأمر الذي جعل شخصيته مختلفة عن بقية الشخصيات»⁽¹⁾.

إن أولى المواصفات المنتقاة التي تقدمها الذاكرة عن الجسد ذلك النص الذي يورده الروائي/البطل على لسان والده في قوله «ما هكذا يملأ العدل يا ولدي أصابعك لم تستقم بعد وذراعيك طريان مثل هذه الأعشاب»⁽²⁾ إن هذا النص وإن لم ننف عنه سمة الواقعية فهو لا يخلو كذلك من لمسة تخيلية؛ لأن الطابع الانتقائي الذي تقوم به الذاكرة تجعلنا نتساءل عن سبب اختيار هذا النص الذي يحيلنا على الملامح الأولى للشخصية المتمثلة في جسده الضعيف دون غيره من النصوص؟ إن الإجابة هنلمر هونة بالأثر النفسي الذي خلفته مقولة الوالد في نفس الطفل الذي كأنه البطل، ومنه فإننا «في السيرة الذاتية إزاء تحريف مضاعف: الذاكرة تحرف الماضي والكتابة تحرف ما حرفته الذاكرة. وهو ما يجعل الذات متعددة، متشظية تمتع عن المؤلف معرفتها معرفة ثابتة مكتملة. وما السيرة الذاتية إلا سعي إلى هذه المعرفة عبر حوار "الأنا" في الحاضر مع "الآخر" الذي كان في الماضي. والخطاب السيرذاتي رغم ما يتعهد به من صدق ونزاهة، خطاب خادع يوهم بالتوحد بينما جوهره التعدد. ويطلب منا التسليم بالتطابق في حين أن الاختلاف حقيقته»⁽³⁾، إن هذا النص يجعلنا نجزم أن الباردي الكاتب ليس هو الباردي الطفل إنه الإيهام بالتوحد فقط، لأن الذاكرة لا تستدعي الحدث كما هو بل كما يظن الكاتب أنه حدث.

وفي موقف آخر يستوقفنا هذا المقطع السردى الذي يؤكد فيه الراوي على نحول جسمه «في الحقيقة كان شكلي العام لا يهيئني إلى المغامرة في مجتمعي الصغير... كنت هزيل الجسم

(1) المرجع السابق، ص 46.

(2) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ط1، مركز الرواية العربية للنشر والتوزيع، تونس، 2010، ص 10.

(3) محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010، ص 262.

لا أقدر الحركة الذاتية التي يتمتع بها أقراني من أبناء الفلاحين»⁽¹⁾. إن هذا التكرار يعطي لمحة دالة ومحورية في حياة الطفل، الذي لم يكن يشبه أبناء الفلاحين الذين هيا لهم القدر بنية مورفولوجية للقيام بالأعمال الشاقة خلاف البطل الطفل الذي يتهيو لقدر مخالف، إنها الدراسة التي يتكرر الحديث عنها.

إن هذه العبارات على شحها استطاعت أن تتقل لنا كثير من التفاصيل المهمة لأن ذاكرة لا تحتفظ بالأشياء العادية بل تلك التي لها كبير الأهمية في حياة الشخص، فهذا النحول جعله يتوجه إلى المدارس بل ويربط نموه العمري بذكرها، يقول «ذلك الخريف لا أزال أذكره اشترى لي والدي بنطلونا وحذاء وبلوزة ومحفظة جديدة أنا الآن في فصلي الخامس»⁽²⁾، وفي موضع آخر يذكر السارد عمره من خلال قوله «عندما دخلت الفصل السادس، كنت قد بلغت الثالثة عشرة من عمري»⁽³⁾.

إن ذكر عمر الطفل من مرحلة إلى أخرى راجع إلى أن السارد أراد أن يشير إلى أن عمر الشخصية له دور مهم وفعال في ترتيب الأحداث من جهة ومن جهة أخرى يشير إلى أن اختلاف عمر الطفل يجعله يبين لنا وجهة نظره والتعبير عن العديد من المواقف التي شهدها وعلى حد تعبير حورية لنقر فإن «اختيار المؤلف هذا الأسلوب وهذه الطريقة لتدوين الأحداث والتأريخ للوقائع التي كان فاعلا فيها أحيانا وشاهدا عليها أحيانا أخرى»⁽⁴⁾. ومنه يظهر بأن سبب الإطناب السارد في عمر يرجع إلى انه أراد التأريخ للأحداث بالإضافة إلى الوعي الكاف برغبات جسده وأسراره من خلال مجموع الوقائع والمسائل.

1-2 الذاكرة والبعد النفسي:

إن محاولتنا تحليل هذه السيرة الذاتية الروائية يضعنا أمام العديد من الذكريات التي استحضرها الباردي من مخزن ذاكرته فنجده يورد بعض الصفات المتعلقة بنفسيته.

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 156.

(2) المصدر نفسه، ص 124.

(3) المصدر نفسه، ص 162.

(4) حورية لنقر، الطفل في "حنة" لمحمد الباردي، ص 49.

فنجده يصف نفسه بالخلج فيقول في ذلك «فقد كنت طفلا خجولا عشت وحيدا مع أبوي»⁽¹⁾. ولعل هذه العبارة تعطي تصورا وانطبعا للقارئ عن شخصية الباردي بأنه طفل خجول، والسبب راجع إلى أن الباردي ولد في عائلة مكونة من أب وأم دون أن يكون لديه أخ أو أخت ولعل هذا العامل ساهم بشكل كبير في انطوائية وخلج الطفل، فنجده أيضا لا يحبذ التعامل مع الفتيات ولا الاختلاط مع الجماعة، فهذه الصفة تسبب حرجا كبيرا.

وفي مقام آخر نجده يخص ذكر خجله في علاقته مع جنس الأنثى فهو لا يقدر على معاملة ومخالطة الفتيات ويجد في محادثتهن خوفا كبيرا حيث صرح بذلك في قوله «أعترف الآن أنني كنت طفلا خجولا وأن تربيتي العائلية لم تساعدني على خرق حالة الرهبة التي تتنابني عندما ألتقي بنتا من بنات الجيران»⁽²⁾. تلعب صفة الخجل التي تميزت بها الشخصية دورا مهما في حيات الطفل فنجده هذه الصفة تنذر بوجود عراقيل وأحداث تتسبب في إحساسها بالحزن أو بالمضايقة من قبل شخصيات أخرى. ولعل هذا الخجل قد أدى بالشخصية في كثير من الأحيان إلى الاعتزال والانطواء عن الناس واختيار الوحدة.

بالإضافة إلى أن السارد كشف لنا تصرفات المعلم التي كانت تضايقه وتحرجه أمام زملائه مما أدى به إلى الهروب من المدرسة وتفضيل التسكع وعدم حضور الدروس فقال في ذلك «كنت أكره المدرسة، وأخشى المعلم الذي كان يلوح بعصاه، ويدخلها أحيانا بين جسدي ووثابي وراء ظهري ثم يجذبها إليه ويصيح في أذني "يا مرخي" فأتأوه وأبكي»⁽³⁾. ومنه فإن ميزة الخجل أثرت كثيرا في الشخصية الرئيسية مما جعلته يحس بالألم وينفعل، ويلجأ إلى البكاء، إلا أن هذه الصفة السلبية أدت إلى عدم استطاعته مجابهة الحواجز وكسر القيود وإنما زادت الوضع تعقيدا حيث أثرت على طفولته، وسوف تؤثر فيه لاحقا بالسلب

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 29.

(2) المصدر نفسه، ص 197، 198.

(3) المصدر نفسه، ص 154.

عندما يتقدم في السن وهذا ما يتضح في قوله «سيؤثر هذا الإحساس بالوحدة في حياتي القادمة، سأنشأ طفلاً منطوياً على ذاتي»⁽¹⁾.

ونجده يذكر صفة أخرى متمثلة في الغيرة فقد كان إحساسه بالغيرة قويا وقد امتلكته هذه الصفة وهو يرى والديه يستعدان إلى استقبال ولد جديد، حيث كان الطفل يتمتع بكامل الحب والاهتمام والدلال من طرف والديه ولذلك كان يرفض وجود مولود جديد في عائلته الصغيرة وعبر على ذلك قائلاً «لقد عشت مع وحدتي، بل عشت وحدتي»⁽²⁾. ترسم الذاكرة صورة الشخصية الطفل في هذه السيرة الذاتية الروائية عبر ملامح نفسية تتضح من خلال مقاطع وعبارات صرح بها السارد من خلال سرده هذه لهذا المشاعر والهواس النفسية التي تستعمل لاحقاً على تشكيل الطفل مستقبلاً.

1-3 الذاكرة والبعد الاجتماعي:

يساهم البعد الاجتماعي في بناء شخصية الفرد فالبيئة والطبيعة والمحيط لهم دور مهم في نحت سلوكيات وطباع الأفراد، وهذا ما نجده في السيرة الذاتية الروائية "حنة" حيث يرجع بنا السارد إلى الماضي من خلال الذاكرة فيبين لنا وضعيته الاجتماعية والثقافية حيث ركزت الشخصية الرئيسية بشكل لافت للانتباه على استذكار الحالة الاجتماعية للعائلة التي عانت من الفقر والحاجة، بالإضافة إلى أن السارد أراد أن يبين أنه لم يكن يعرف قيمة الفقر وصرح بذلك من خلال «وقتئذ لم أكن أعني ما يقول ولم أكن أدرك الحد الفاصل بين الفقر والغنى»⁽³⁾.

يبين لنا القول بأن هذا الطفل المدعو بالباردي ترعرع وولد في عائلة فقيرة الحال بالإضافة إلى اضطرار العائلة الصغيرة إلى العيش مع عائلة أخرى واقتسام الحجرات، إضافة إلى عودة العمدة حليلة للعيش معهم، ورغم كثرة المصائب والكوارث التي تتهاوى على العائلة إلا أنها كانت عائلة سعيدة، وهذا ما يتضح في قول الطفل متحدثاً في ذلك عن والده «كان

(1) المصدر السابق، ص 93.

(2) المصدر نفسه، ن.ص.

(3) المصدر نفسه، ص 88.

سعيدا رغم الكوارث العديدة التي بدأت تصيبنا وتؤكد لنا أننا عائلة فقيرة لا نستطيع أن نرد هذه الكوارث»⁽¹⁾. ونفهم من الشاهد أو المقطع المستقى من السيرة الذاتية الروائية أن هذه العائلة تنتمي إلى الطبقة الريفية الفقيرة. هذا الفقر الذي يعده المسؤول الوحيد على موت إخوانه، فالأب لم يتوفر لديه ثمن الدواء، فقد كان الدواء باهض الثمن لا تستطيع العائلات الفقيرة أن تشتريه، وإنما كان حكرا على الفئة الغنية وهذا ما نلمسه في قوله «لأنني إلى حد هذه اللحظة لم استطع أن أفهم كيف كان إخوتي يموتون بهذه السهولة، لعل أمراض الطفولة كانت كثيرة، ولم يكن الدواء متيسرا للفقراء مثلنا»⁽²⁾. إن شدة العوز المادي الذي عانت منه الشخصية البطلية هي التي جعلتها تستذكره في مقاطع نصية عديدة لتبرز استياءها وامتعاضها من الحياة البائسة التي تعيشها التي كانت تبرز أكثر عند احتكاكه ببعض الأغنياء «ولكنني كنت أرى أبناء أحوال أُمِّي عندما يأتون إلى الواحات مرات نادرة في ثيابهم الجديدة ونظرات الاستهزاء في أعينهم الوقحة»⁽³⁾. إن السارد يؤكد في كل مرة نغمته وحقده على أغنياء تلك المرحلة من طفولته، وعدم رغبته الشديدة في إنشاء أي علاقة معهم فهو كان يقتدي بوالده الذي كان رغم فقره وحاجته الماسة إلى المال والعمل إنسانا راضيا بقطعة الأرض التي يملكها، وأنه غير محتاج إلى أبناء عمومته لمساعدته، لذا فقد قابل الطفل هذا الموقف بالثورة عليه، فكان يرفض جميع أنواع الاستهزاء والازدراء والسخرية التي كانت تصدر من الفئة الغنية. ومن هنا يتبين بأن الطفل أو البارد في حنة قد أدرك الفارق بينه وبين أبناء عمومته فهو مدرك للفرق بين عالمه الصغير وبين عالم الأغنياء المغاير له. ونخلص على القول بأن السارد استطاع رسم صورة للشخصية الرئيسية في حنة من خلال الأبعاد الثلاثة الجسدي والنفسي والاجتماعي فاستحضر أهم الصفات الطفولية التي تميز بها ورصدها مستعينا بذاكرته، فلم يهتم كثيرا بذكر الصفات الجسدية للطفل فقد اكتفى بذكر صفة أو صفتين على الأكثر شككت على قلتها لمحة دالة.

(1) محمد البارد، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 88.

(2) المصدر نفسه، ص 92.

(3) المصدر نفسه، ص 107.

أما الجانب النفسي فقد وصف لنا السارد نفسه في مجموعة من الصفات تمثلت أهمها في الخجل والغيرة والانطواء والصمت...إلخ. وفيما يخص الجانب الاجتماعي فقد شرح لنا المبدع الحالة التي تعيشها الشخصية والعائلة وبالتالي «لقد خلف هذا الفقر ألما في نفسية الشخصية الرئيسية ويتضح ذلك في حديثه عن الاحتياجات التي لم تتوفر لهم»⁽¹⁾. وبالتالي نستنتج بأن الفقر الذي كانت تعيشه العائلة ترك أثرا قويا على نفسية المبدع فجعلته يثور ويرفض كل أنواع السخرية والازدراء.

2- التذويت في الذاكرة:

تعتمد السيرة الذاتية الروائية عدة مقومات منها مسألة التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الذي جاء به فليب لوجون بمصطلح ميثاق السيرة الذاتية وهذا ما نجده في حنة، فالسارد وهو بصدد سرد الوقائع والأحداث المتعلقة بحياته ويذكر أهم الوقائع التي أضفت وقعا عليه منذ طفولته، فيحاول في الكثير من الأحيان الانفلات من سيطرة المؤلف عليه إلا أن اقتران السارد بالشخصية حضر وسيطرة ووجد بشكل مكثف ومنه «يعتبر السارد في مستوى البناء الداخلي للنص مثله مثل الشخصيات كائنا ورق لكن الأمر في السيرة الذاتية مختلف حيث يكون كاتب السيرة ساردها»⁽²⁾ ومنه لا يمكن إيراد الاختلاف بين الكائن الواقعي وبين الكائن المتخيل الموجود في حنة.

إذ نلاحظ عند دراسة السيرة الذاتية الروائية أن السارد يتطابق في الكثير من المواقع مع الشخصية الرئيسية، وذلك من خلال اقتران خطاب الأنا مع ذاكرة السارد أو الطفل فيبرز المبدع مجموع الأحداث والوقائع المتعلقة بحياته وطفولته من خلال استخدام ضمير المتكلم "أنا" في خطابه وهذا ما نستشفه في مجموع هذه المقاطع المستوحاة من حنة فنجده يقول «وأنا أجلس إلى مكتبي، وأفتح نافذتي لأطل على البحر...»⁽³⁾.

(1) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 59.

(2) المرجع نفسه، ص 67.

(3) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 71.

«خرجت أنا إلى المدينة... أما أنا فكنت لا أركب قدمي»⁽¹⁾.

«هكذا كنت أدرك هذه الزغرودة وأنا أستمع إليها في مناسباتنا العائلية المختلفة»⁽²⁾.

«ها أنا إذن أنني الثالثة عشر من عمري»⁽³⁾.

ومن هنا يظهر بأن السارد قد ربط خطاب الذاكرة المتعلق بحياته الذي يقدمه لما الفعل الناقص "كنت" بضمير المتكلم "أنا" فيسيطر حضوره على باقي الضمائر الأخرى، ويخترق بها جل مفاصل الحكاية، ورغم محاولة المبدع أحيانا الهروب والانفلات منه وإنكاره إلا أن الضمير يحافظ على سيادته ويتصدر بذلك كل مقاطع النص. و«الأکید في السيرة الذاتية أن يكون السارد فيها هو ذاته المسرود أي أن القائم بعملية التلفظ هو نفسه الكائن الذي يفعل الملفوظ»⁽⁴⁾.

ومن جهة أخرى نجد المبدع يكرر فعل "أذكر" بصيغة المتكلم المفرد عدة مرات في "حنة" حيث يقول في أكثر من مقطع «أما ذاك الحدث فلا أزال أذكره»⁽⁵⁾. «ذاك الخريف لا أزال أذكره»⁽⁶⁾. «كان قدور ابن بائع الكاز صديقنا، أذكره الآن»⁽⁷⁾. «وأذكر ذلك الآن»⁽⁸⁾. «أحاول الآن أن أجمع شتات أيامي، مرة أخرى تخونني ذاكرتي أعلم ذلك»⁽⁹⁾. وهذا التكرار يؤكد مرة أخرى علاقة الذات بالذاكرة، بل اندماجهما في فعل أذكر، حيث تظهر سلطة ذات الباردي الكهل مهيمنة على فعل التذكر الذي يعترف لباردي بمحدوديته فيقول «لا أزال أذكر تلك الصورة البالغة من الذاكرة، ذاك أقصى ما أذكر، فالذاكرة لها حدود»⁽¹⁰⁾.

(1) المصدر السابق، ص 140.

(2) المصدر نفسه، ص 193.

(3) المصدر نفسه، ص 197.

(4) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 67.

(5) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 221.

(6) المصدر نفسه، ص 124.

(7) المصدر نفسه، ص 61.

(8) المصدر نفسه، ص 81.

(9) المصدر نفسه، ص 71.

(10) المصدر نفسه، ص 13.

يظهر لنا من خلال مجموعة هذه الشواهد أن السارد قد أطنب في اعتماد هذه اللفظة، حيث قمنا بذكر مجموعة منها فقط لا على سبيل الحصر وإنما لنظهر بأن السارد له غرض من تكثيف هذه الكلمة. ومنه فإن هذا التكرار إن دل على شيء إنما يدل على العلاقة التي تربط المؤلف/الذات بالأحداث المروية وهذه العلاقة يجليها لنا الفعل **أذكر**.

ويتجدد اندماج الذات بالذاكرة في النص الآتي «كنت أشاهد أمي في عملي الاستثنائي ذلك اليوم تدخل المطبخ لتعد الفطور... وعندما أصل إلى موقع الحفر في الزريبة...»⁽¹⁾، إن ضمير المتكلم المتمظهر في التاء مندمجا الفعل كان المحيل على الماضي، يؤكد أمرين الأول هو تحقق الميثاق السير ذاتي المتمثل في تطابق المؤلف والسارد والشخصية، أما الثاني فيتمثل في بروز البعد الذاتي في عملية السرد التذكري الذي يحققه ضمير المتكلم المفرد.

ونخلص القول إلى أن هذا التوظيف يسيطر على السرد ويهيمن على النص، فالمبدع يقوم بذكر جل الوقائع والأحداث والمسائل المتعلقة بحياته تقريبا إلا ويكون هو شاهدا عليها جميعا. وهذا ما يجعل الأمر يصعب على السارد إذا ما أراد أن ينفلت من استخدام خطاب الأنا.

3- خطاب الذاكرة والتوالد الحكائي:

تعد ظاهرة التوالد الحكائي من أقدم الظواهر التي عرفها فن القص قديما وحديثا، ومن هنا اتخذها الرواة المحدثين تقنية حكاية لما تحتويه هذه التقنية من قدرة على تجديد الحكايات وهناك من يسميها آلية التضمين كما هو الشأن عند عبد الوهاب شعلان في كتابه السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية «تخضع الكثير من للتصوص السردية العربية إلى منطق التضمين السردية فثمة حكاية إطارية تشكل محور النص العام والبؤرة العملية السردية، تتناسل منها عبر الخيط الحكائي مجموعة من الحكايات تتكون ضمن هذا الإطار وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها بصورة عنقود من

(1) المصدر السابق، ص 19.

الحكايات القصيرة التي يغذيها ذلك الإطار، نلاحظ ذلك بوضوح في نص ألف ليلة وليلة حيث تتوالد الحكايات باستمرار مشكلة بنية سردية متداخلة»⁽¹⁾.

ويعد السارد في الحكاية الإطار هو سارد من الدرجة الأولى والسارد في الحكاية الفرعية هو سارد من الدرجة الثانية وهذا على حد قول حورية لنقر التي أطلقت عليه هذا المصطلح «نعني بالسارد من درجة أولى السارد الذي يكون شاهدا مباشرة على الأحداث دون أن يسعى إلى الاستعانة بعون يبلغها له...»⁽²⁾. أما «السارد من الدرجة الثانية سارد يدرجه السارد الأصلي في الخطاب ويوكل إليه مهمة سرد بعض الوقائع الثانوية»⁽³⁾. ومنه فإن السارد الثانوي يقوم مقام الشخصية الرئيسية ويدمج حكايته مع الحكاية الأصل ومنه فهو يؤثت الفضاء السردية، ويثريه بتفاصيل مشوقة من خلال دراستنا لحنة نجد أن الشخصية الرئيسية تفسح المجال للعديد من الرواة أو الشخصيات الثانوية للحديث عن تجاربها الواقعية المرفقة بعنصر التخيل.

تبدأ الحكاية الإطار برصد الأحداث والوقائع التي مر بها السارد أو الشخصية منذ طفولته ومنه يبدأ أحد أصدقاء الطفل بسرد أحداث حكاية ثانوية وبالتالي تتحول الحكاية الإطار إلى بالإضافة إلى أن عبد الله إبراهيم تحدث عن التوالد الحكائي ومنه على الحكاية الأصل إلى «إطار مناسب لتضمين مضاعف من الحكايات تندرج فيه حكايات داخل أخرى مما يقود إلى تفرخ مزيد من الحكايات داخل الحكاية الإطارية»⁽⁴⁾، وهذا التضمين قائم على التذكر كذلك، ولكن الذاكرة هنا غير موثوق بها، لأن الذي يتذكر هو الباردي الطفل بالنيابة عن شخصية قدور كما في هذا المقطع الذي يتذكر فيه الباردي قصة عبلة مع قدور كما رواها له هذا الأخير «كان يبدأ بوصف عنقها، ثم يندرج شيئا فشيئا إلى النهدين، ثم يبحر في الوصف إلى

(1) عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية، من الموقع:

www.startimes.com,15:59,2015,10,19، ص 17.

(2) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 69.

(3) المرجع نفسه، ص 71.

(4) عبد الله إبراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط1، المركز الثقافي العربي،

بيروت، 1992، ص 97.

أن يصل هناك، غابة كان يقول من يدخلها لا يخرج منها...»⁽¹⁾، إن ضمير الغائب هنا مثلاً في "هو" مرتبطاً مع الفعل الماضي كان، يضعنا أمام غياب تام للحقيقة، فإذا كانت الذاكرة الشخصية خائنة ومحدودة، فما هو موقفنا مع الذاكرة الغيرية (ذاكرة قدور) التي يمتطيها الباردي ليعبر عن ثيمة الجنس في سيرته الذاتية . بل أكثر من هذا فقد يكون الباردي من الدرجة الثالثة كما في قصة الطيب الفوال مع أرملة أبيه التي سمعها من قدور «قال زينب العرجاء لا تستطيع أن تتام وحدها، نادى ربيها وقالت تعال نم معي، أنت ولدي، قال في الليلة الأولى ظلت تفرك له ظهره، وكانت كفها رطبة شهية وهي تمر على ظهره، عندما شعر بتلك اللذة الغريبة استدار وعرض لها صدره، وضعت كفها وظلت تذهب وتجيء ثم نزلت ببطء وصلت إلى السرة... وهو يرضع ثديها»⁽²⁾.

إن هذا النوع من الاستنكار الغيري يضعنا أمام إحراج ذاكراتي يفتح المجال واسعاً أمام التخيل، مما جعل الدارسين يسمونه بوسم العون السردى الذي يأتي «لتبرير المواقف والرؤى التي يحملها الطفل ولتوسيع الهوية بين الشخصية الرئيسية والسارد في هذه السيرة الذاتية الروائية ذلك أنه كان للطفل علاقات لم يكن قدور وراءها مثل علاقته بجنات»⁽³⁾.

إن هذا النص يؤكد لنا أن هذا الاستنكار تقنية سردية مهمتها الإيهام بعدم التطابق بين الشخصية الرئيسية والسارد، فيصبح قدور هنا قناعاً يختبئ وراءه الباردي ولكن هيهات إذ سرعان ما تتوالد حكايته الشخصية مع جنات التي تصبح راوية على لسان الباردي كذلك من خلال استعمال مؤشرات لغوية محددة من قبيل «روت جنات»⁽⁴⁾ بالإضافة إلى «هذه الحكاية سترويها لنا جنات»⁽⁵⁾.

ولعل السبب في جعل السارد الأصلي أو الأول يفتح لجنات المجال لسرد أحداثها من خلال هذه العبارات هو أن هذه الأحداث قد سبقت «ولادة السارد الأصلي، ولم يكن شاهداً

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 201.

(2) المصدر نفسه، ص 219.

(3) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 72.

(4) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 81.

(5) المصدر نفسه، ص 76.

عليها لذلك كان من الضروري أن يكلف جنات لروايتها حتى لا يضع نفسه مقام شك وريبة فتسجل سيرته ضربا من التخيل والتوقعات التي تجردها من الصدق وتتأى بها عن الواقعية»⁽¹⁾.

إن الذاكرة هنا تبقى ملتبسة بالخيال، لأن الأحداث تنتقل لنا عن طريق السارد الأصلي حتى وإن أوهمتنا عبارة روت جنات بتحول دفة السرد إليها، لأن فعل الرواية هنا لا يمر إلا عن طريق الراوي الأصلي كما في هذا المقطع الذي يقول فيه «وروت لنا الحادثة كنت ممددة على الفراش، منهكة، وقد هدني تعب اليوم، بثيابي هذه، لم يمهلني النعاس حتى أخلعها وكانت البنات قد نمن، انتبهت مذعورة وأنا أحس بيد تفتح قميصي وتمسك بثدي...»⁽²⁾. إن ضمائر المتكلم توهم مبدئيا بأن جنات هي التي تروي/تتذكر مأساتها، ولكن الواقع السردى يثبت أن كل هذا الحضور الوهمي ما هو إلا غياب يؤطره الفعل "روت" مما يجعل الذاكرة ملتبسة في ذهن السارد الأصلي الذي سعى دائما إلى إثبات الحياد في نقله للمعلومات، فأخذ يكرر بعض المؤشرات السردية التي رأى فيها سندا سرديا ينقذه من اتهام مباشر «هذه الحكاية سترويها لنا جنات بعدما يلتئم جرحها، وتعود إلى سهراتها الليلية في كوخنا»⁽³⁾. ومن هنا يتبين بأن جنات احتلت شكليا دور السارد الثاني ولكنها في الحقيقة غائبة لذا فإن صورتها في المتن السردى متذبذبة، أو هي شخصية «فاعلة واصفة وموصوفة ناقدة للأوضاع منقودة...»⁽⁴⁾. إذن فقد ساهمت ذاكرة جنات في إيانة بعض ما خفي من شخصية الطفل الخجول.

وإلى جانب جنات تحضر الأم بذاكرتها لتغطي فضول الطفل في معرفة بعض التفاصيل التي تظهر في شكل لمحات موجزة من قبيل سبب تسمية جده بالفريك هذا الاسم الذي أرق البطل/الطفل، فيأتي جواب الأم «وقالت لا تغتم يا ولدي وها أنا أروي لك قصة

(1) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 72.

(2) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 105.

(3) المصدر نفسه، ص 76.

(4) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 73.

جدك وروت لي قصة جدي... «(1)، إن فعل الرواية يمر عبر المؤلف ثانية مما يجعله ملتبسا بين هواجس الطفل وذاكرة الكهل.

وما تجدر الإشارة إليه أن الأم لم تحضر في نص حنة إلا بصورة محدودة، وهذا الأمر يدعو إلى طرح أسئلة عن الطفل، وعلاقته بأمه التي ليست بخافية على أحد. فلماذا هذا الحضور المحتشم لشخصية الأم؟ هل يعود ذلك إلى ذاكرة الباردي الطفل أم الباردي الكهل؟ أم هو راجع إلى «ضيق عالمها ومحدودية علاقاتها بالعالم الخارجي»⁽²⁾؟ إن الإجابة التي تقدمها حورية لنقر والمتعلقة بمحدودية عالمها وضيق علاقتها إجابة غير مقنعة، لأن علاقة الطفل بأمه لا تقويها العلاقات الخارجية بل العلاقة الداخلية الحميمة. ومنه فإن إغفال الذاكرة لدور الأم لا يوازيه إلا إغفال واقعي انعكس فيما بعد على الذاكرة الشخصية للبطل الطفل/الكهل/المؤلف، أو أن هذا النوع من الذاكرة يدخل في إطار العادي من الأحداث لأن عملية الانتقاء التي تقوم بها الذاكرة تضطر «كاتب السيرة، أو السيرة الذاتية إلى حذف المادة العادية للحياة اليومية من قصته، وإلى تحديد نفسه كلياً بالأحداث والأعمال والخصال الملفتة. إن كتابة الكتب الغثة وقراءتها أمر مستحيل رغم أنها مطلوبة في حالات أخرى، فعندما يستبعد الكاتب ذلك الجزء الممل من حياة الشخص المعني -وهو الجزء الأعظم الذي يشترك به مع الأشخاص الآخرين- ويقدم الأشياء الصارخة فحسب، فإنه يخلق الانطباع بأن حياة هذا الشخص تختلف عن حياة الآخرين أكثر مما هي فعلاً، لا مناص من هذا النقص»⁽³⁾.

ومرة أخرى تطل شخصية الفوال عبر ذاكرته التي يستثمرها محمد الباردي بوصفها عونا سرديا يطل بها على الحياة الخاصة هذه العائلة⁽⁴⁾، واستثمار الباردي لهذه الذاكرة لا يختلف عن سابقتها فهي لا تمر إلا من خلاله وتحت رقابة ذاكرته الشخصية، يقول: «كان الطيب

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 29.

(2) حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 73.

(3) أندريه موروا، أوجه السيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص 114-115.

(4) ينظر: حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ص 73.

الفوال يتحدث عن زوجة أبيه، قال عنها أنها بنت حلال تطهو لنا طعامنا. وتغسل لنا ثيابنا... بنت حلال والله»⁽¹⁾. وهكذا يمضي السارد في استحضار ما علق في ذاكرته من حكايات الفوال مع زوجة أبيه وكلها مقاطع جنسية تلقفتها ذاكرة لطفل من فم الفوال عندما كان يذهب لبيتاع الفول ونحن نرجح أن هذا النوع من الاستحضار الذاكري الغيري هو نوع من أنواع توسيع الهوية بين الذات والآخر، أو هو نوع من أنواع المراوغة من خلال تمييع الحدود الفاصلة بين المرجع والخيال التي يضمنها قانون التخيل الذاتي.

واستحضر السارد الأصلي حكاية السمك وزوجته التي شغلت حديث وأفكار الطفل وأفراد حارة الرحبة وكان للشخصية الرئيسية فضول كبير لمعرفة حكاية السمك وكيف استطاع أن يحصل على هذه الصبية، ويجعل منها ربة بيت وكذلك سبب خوفه من فقدان الكلب الذي كان يحمي بيته، هل كان خوفاً من أن يكشف أهل الرحبة سره الذي يخفيه عنهم. حيث نجد الباردي يولي وظيفة السرد لهذه الحكاية إلى مجموعة من النسوة وذلك من أجل إبعاد الشبهة عن نفسه أن تكون القصة من محض خياله وكذلك يقوم باختيار نائب عنه.

ومنه فإن الاعتماد على هذه التقنية نوع من أنواع الانفلات من مقام لشك و الريبة ونجد الطفل يقول في ذلك «كانت الحكايات التي ترويها النساء عن هذه الصبية الجميلة تتغير كل مرة»⁽²⁾، وهو كعادته يقوم بعملية تأطير شامل وكامل لكل الحكاية المتوالدة بوصفه راوياً عليماً.

4- خطاب الذاكرة والتراث السردى:

إن الحديث عن التراث السردى العربى يقودنا إلى الحديث عن نص ألف ليلة وليلة الذى يعد نموذجاً للعبقرية السردية العربية، وقد نجح المنجز السردى الحديث والمعاصر فى إقامة علاقات خاصة بهذا النص التراثى.

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 216.

(2) المصدر نفسه، ص 246.

ومحمد الباردي واحد من المبدعين العرب الذي استدعى هذا النص في روايته السيرية حنة، حيث استغل الجانب العجائبي لكتاب ألف ليلة وليلة وذكر أحد حكاياتها المعنونة بـ «دور وقمر الزمان»⁽¹⁾ والتي جاءت على لسان شخصية ثانوية العم علي الحودي الذي لا يتجاوز ذكره إلى في الفصل الثامن حيث هيمن على القص فيه، فالسارد الأصلي لم يسهب في ذكر هذه الشخصية على خلاف الشخصيات الأخرى، فهو بذلك لم تكن له علاقة كبيرة بالعم علي الحودي ولا بطفولته، فالباردي هنا جعل الحودي شخصية عرضية اختفت من حياته بمجرد انتهائه من رواية مغامرته، فنجد بأن الحودي يسرد قصة دور وقمر الزمان على لسان القرين الذي يسكن جسده أو الذي كان يدعيه فقط وذلك من أجل الوصول إلى جنات جارة العائلة أو الطفل وذلك كان طمعا فيها لأنها امرأة أرملة ووحيدة «كان القرين يراود جارتنا جنات لقد كانت مأخوذة بهذه الحكايات العجيبة، عندما كان يحكي كان يداعبها، كان يلتفت إليها ويضحك...»⁽²⁾.

وما نلاحظه على قصة العم علي الحودي أنها قصة خالية من الثغرات والنقائص فقد ذكرها كما وجدت في ألف ليلة وليلة «وبدون مقدمات شرع يروي لنا قصة حياته جئتكم من مدينة بعيدة من مملكة الجن وسيدتي... وها أنا حر طليق أسكن من أشياء»⁽³⁾.

5- ذاكرة الجسد:

استطاعت الذاكرة أن تلعب دورا مهما في السيرة الروائية حنة وذلك من خلال استحضار جل مراحل طفولة الشخصية وأهم ما كان له وقع وأثر كبير عليه، فمن خلال دراستنا لحنة استطعنا أن نستشف كثير من مفاصل السيرة الروائية لذة الجسد والغريزة الجنسية حيث كان أول لقاء مع أنثى في لعبة العروس والعريس الذي لعبها الباردي «نهى مكانا في ركن الداموس المحاذي لحوشنا، نفرش حصيرا ونقتني بعض الأواني القديمة...»

(1) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 116.

(2) المصدر نفسه، ص 119، 120.

(3) المصدر نفسه، ص 116، 119.

وهكذا أدركنا كيف وماذا يفعل العروسان ليلة الدخلة... وجاءت ليلة الدخلة هيأت البنت نفسها ودنوت منها وما كدت ألثم خدها حتى رأينا الجدة القاسية فوق رأسينا»⁽¹⁾.

فيعد هذا أول طريق يفتح المجال أمام السارد للتفكير في مثل هذه المواضيع، بالإضافة إلى ما حدث مع زميله قدور وجاره حيث وجدته زوجة أبيه «يركب ولد العروسة سحبت عصا وانهالت عليه ضربا»⁽²⁾ وكان هذا الموقف الذي شهدته الشخصية يعبر عن أولى العلاقات الشاذة في المجتمع.

ونجد السارد يستمر بسرد أسرار الطفل محمد ورحلته الطويلة مع لذة الجنس حيث لا يكاد يخلو فصل واحد من حكاية تبرز هذه الغريزة فولع الصبي بالجنس وتبعاته أوصلت الطفل إلى حد التخيل الذي نتج عن تلك اللذة العنيفة على حد وصفه فيقول «كنت أشعر بتلك اللذة العارمة وأنا أتخيل تلك العلاقات البشرية المثيرة، عشق وأشواق وجنس تختلط عليا الأمور»⁽³⁾.

للشخصية الرئيسية طفولة شيطانية مع اللذة والجنس ونستشف ذلك من خلال «أثارت شياطيني الصغيرة البنت الثانية - لجنات الجارة- كانت جميلة أراها الآن أمامي عينان سوداوان، وخدان موردان... أعود إلى البيت وأقضي ليلتي لأداعب شياطين... كان عطر الأنوثة الثائرة منتشرا في أرجاء الحوش ويسري في جسدي كله»⁽⁴⁾.

ومنه نرى بأن الطفل يستمر في مداعبة ذاكرته ليثير صور الفتيات وكذلك يقوم بمداعبة جسده كله ليثير فيه الغريزة فلا يكاد ينتهي من رسم صورة بنت الجارة حتى ينتقل إلى إحدى الفتيات اليهوديات اللواتي كن يقطن بالحارة اليهودية، وكان لهذه الصبية أثر كبير في مخيلة وذاكرة محمد فجعل من هذه الفتاة شبح يطارده مرة برائحة الصابون المسكي ومرة بالفستان الضيق ومرة أخرى برائحة الحناء فكانت صورتها لا تفارق مخيلته. فهذا الولع

(1) المصدر السابق، ص 37.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

(3) المصدر نفسه، ص 19.

(4) المصدر نفسه، ص 139، 140.

الشديد بالجسد لدى السارد جعلته يصل إلى حد أن يقول بدأت: «أرسم بمخيلتي صورة الجسد الذي رأيته، وأستجمع ذاكرتي، أعنفها لأصنع ملامح وجه جميل ثم أشرع في مداعبة نفسي تتحرك يدي ثم يتحرك جسدي كله، إلى أن تدركني لذة القذف... عارية»⁽¹⁾.

ومنه يظهر بأن محمد الباردي لا يمكن له إلا أن يذكر هذه المغامرة التي تبين لذته مع الجنس الأنثوي وكيف كانت أول علامات بيان رجولته فقد ذكر بأن جسد المرأة كان بمثابة هاجس قوي يريد استكشافه ولذلك جعل مخيلته تقوم برسم وتخيل الفتيات وهن عاريات من أجل الوصول إلى اللذة المرجوة.

ونجده في موضع آخر يذكر بأن «عندما اهتز جسدي وقذفت أدركت مرة أخرى أن أُمي كانت واقفة عند الباب تراقب المشهد كله جذبت الغطاء وغصت في مائي داخل الفراش»⁽²⁾.

إن الحالة الجنسية التي يعيشها السارد ما هي إلا صور ومشاهد خيالية مبنية في ذاكرة الصبي، ويقوم باللجوء إليها من أجل تحقيق اللذة المنشودة فيحدث من خلالها أولى متعلقات العلاقة الجنسية ومع ذلك فهو يذكر بأن أمه أدركت الأمر وفهمت بأن ابنها قد كبر وهذه الحالة التي يعايشها هي حالة طبيعية «أدركت أُمي في النهاية أنني كبرت»⁽³⁾.

وفي مقام آخر يلعب العطر دورا مهما في جعل جسد الطفل متحمسا إلى اللذة الجنسية فنجده يذكر ذلك من خلال «لا أستطيع أن أنسى تلك الحركة، وهي تقرب الزجاجاة الصغيرة من أنفي تظل رائحة العطر تهز كياني، ظلت عندما أقترب من هذه المرأة أشتم هذه الرائحة... برائحة العطر الأنثوي على أرنبة أنفي»⁽⁴⁾.

6- الذاكرة والحناء:

تزخر السيرة الذاتية الروائية حنة في العديد من المواقف والمشاهد وكذلك في جميع فصولها بتعدد حضور لفظة حناء فهذا الحضور القوي لهذا النوع من النبات يجعل القارئ

(1) المصدر السابق، ص 163.

(2) المصدر نفسه، ص 163.

(3) المصدر نفسه، ص 163.

(4) المصدر نفسه، ص 169.

يتمعن فيها فنرى بأن أول حضور لنبات الحناء يبدأ من عتبة العنوان فنلاحظ بأن الطفل يريد أن يعلمنا بأن حناء توحى إلى قدسية فهذا النبات يعني الكثير للباردي ويظهر ذلك من خلال ما ورد في السيرة الذاتية الروائية فيقول في ذلك « فلماذا لا تنتشي وأنت جالس إلى مكتبك تنظر من خلال نافذة إلى شجيرة الحناء التي طلعت في حديقة بيتك؟ أنت الآن تطل على الأيام الماضية... »⁽¹⁾. إن الحنة هي معبر الباردي إلى ماضيه وذاكرته.

ومنه فإن لفظة حناء لا تعني نباتا عاديا لأن لها ماض مرتبط بطفولته ومنه تصبح الحناء هي الدليل على طفولته بالإضافة إلى أنها تعد بمثابة منشط لذاكرته بل تتعدى ذلك إلى كونها هي الذاكرة نفسها، فهو يذكر الذكريات الماضية ويستذكر مغامراته من خلالها فالسارد هنا يحتفي بنبات الحناء فقد ارتبطت بالعديد من تجارب ومغامرات الطفل ويذكر ذلك في تفاصيل كثيرة من السيرة الذاتية الروائية، فقد ربطها بذكريات تعيسة وأخرى سعيدة فالتعيسة منها تمثلت في أن الحناء كانت سببا في موت زوج جنات الجارة المقربة للطفل وأما السعيدة منها المتعلقة بأفراح الجيران ومناسبات الأعياد في الرحبة وكذلك قصة الحناء مع أم الصبي والجاره جنات.

ونجد السارد في موضع آخر يربط الحناء بذاكرة الجسد فقد كانت الحناء عبارة عن علامة مميزة لتجارب الجسد الأولى للصبي محمد فمن خلالها استطاع الباردي أن يكشف عن ذاته، وعن حاجته الجسدية فكان الحضور الأول لنبات الحناء عندما أراد السارد أن يبرز رجولته ويكسب رهانه مع صديقه قدور حول العلامة في جسم المرأة عبلة التي كانت إحدى الشخصيات المذكورة في المغامرات الجنسية المتعلقة بالسارد حيث تمثلت العلامة في "وريقات الحناء تحت السرة" وهي من خلالها يثبت الطفل لجماعة العمود الكهربائي بأنه رجل استطاع أن يقتحم عالم النساء فقام بمغامرته وذهب إلى عبلة ويقول في ذلك «لأول مرة أرى

(1) المصدر السابق، ص 25.

جسد أنثويا يتعري أمامي تلاشت مخيلتي وتخذرت أوصالي ولم يتحرك شيء في جسدي...»⁽¹⁾.

وفي موضع آخر نجد أن نبات الحناء قد مارس بشكل كبير في تلبية رغبة ولذة الطفل الجنسية حيث كانت أول تجربة له مع جارته جنات التي منحت له هذه اللذة والجامع بينهما هي الحناء ففي ليلة طلبت من الباردي أن يوصلها قائلة بذلك «أن يرافقني رجل أفضل من أمشي وحدي في هذا الليل المظلم...»⁽²⁾ ومن هنا يتبين بأن جنات أسندت إحدى صفات الرجولة إلى الصبي وهو الاحتماء به في الليل لتبدأ ليلة الطفل فيما بعد مع جنات بنبات الحناء من خلال طلبها من محمد مساعدتها في وضع الحناء على رجلها فنجد بأن تلك الرائحة هزت كيان الصبي وأشعلت فيه نار اللذة الجنسية «أجلس الآن عند قدميها، رائحة الحناء تتسرب إلى أنفي، رائحة جديدة لم أنتشقتها في بيتنا، رائحة الحناء، ورائحة الجسد ورائحة الشاي...»⁽³⁾.

ويستمر الباردي بكشف أسرار تأثير نبات الحناء على غريزته إلى أن يصل إلى مراده ولذته الجسدية المرجوة وذلك من خلال قوله «وعندما بلغت الفخذين استلقت على ظهرها، وجذبتني إليها أنا الآن بين الفخذين، جذبتني مرة أخرى وضعتني على صدرها قبلتني... في الكانون»⁽⁴⁾. وهنا يظهر بأن جنات قد اعترفت برجولة الباردي حيث سمحت له بدخول فئة الرجال فهي اعتبرته رجلا في عينها، وهنا يتحقق حلم الطفل في لمس جسد المرأة وكل ذلك بمساعدة نبات الحناء الممزوجة بعطر وجسد جنات.

7- الذاكرة وهاجس المكان:

تستحضر السيرة الذاتية الروائية الذاكرة من أجل استدعاء أبرز وأهم التجارب والمغامرات التي مر بها السارد في حياته الشخصية. ولعل هذا ما نجده من خلال دراستنا

(1) المصدر السابق، ص 203.

(2) المصدر نفسه، ص 207.

(3) المصدر نفسه، ص 208

(4) المصدر نفسه، ص 208.

هذا العمل، حيث نلاحظ بأن السارد أو المؤلف جعل ذكر الأمكنة متتابعاً وفق تسلسل ذكراتي، أعاد الباردي إلى فردوسه التي فقدته منذ زمن طويل وبقي معلقاً بقلبه وعقله حيث يتضح من خلال حنة أن لهذا المكان مكانة في حياة وطفولة السارد وذلك لما عاشه في هذه المنطقة وكذلك ما ربطه بهذا المكان هو عائلته وخالته وجيرانه فهذا هو في الخمسين من عمره ولا زال يشفق ويحن إلى مكان طفولته.

فيؤرخ الباردي لذاكرة المكان بدءاً بالبيت الذي كبر وترعرع فيه بجانب أسرته البسيطة «كان البيت كبيراً وأنت الآن لا تستطيع أن تراه إلا من خلال ذاكرتك وهل تستطيع الذاكرة أن تسجل كل شيء؟ لكنك تخشى أن تستثير ذكراتك فتبتدع لك أشياء تتوقع..»⁽¹⁾ إن المكان وهو يتحول من بناء في الواقع إلى معمار نصي، يعيد تشكيل ذاته مرة أخرى، ضمن التشكيل العام للنص السردي، وي طرح أسئلة مغايرة تستبعد كل تبسيط في المنظور الذي يقاربه من زاوية انعكاسات واقعية، وتستحضر المكان كأثر في النفس ورسوم تذكيرية تؤسس لمصفاة لا تحتفظ إلا بالمذوت والإطارات الكبرى والتي يمكن الاقتراب منها، إجرائياً لفهم بعض آليات اشتغال المكان في النص الروائي السيري.⁽²⁾

ونجده في موضوع آخر يستذكر حميمية المكان من خلال قوله «كان بيتنا بيتنا مشتركا يقطنه معنا أولاد عم أبي وعائلة أخرى من الأقارب لا أدري كيف اشتركت العائلتان المتباعدتان في امتلاك هذا البيت... وتركت الحي مبكراً»⁽³⁾ وهذه الحميمية تتبدى أكثر من خلال اندماج الذات بالمكان "بيتنا" الذي يغوص عميقاً حافراً مسارات من الحنين والشوق لذلك المكان الأول في ذات المبدع.

بالإضافة إلى ذكر حبه لرائحة الكسكي التي كانت تعم أرجاء البيت خاصة حجرته فهو يتذكر تلك اللحظات ويسترجع كيفية تمتعه بتلك الرائحة الزكية «ولكن كنت أحب العيد

(1) المصدر السابق، ص 27.

(2) ينظر: شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، (التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، دار رؤية، القاهرة، ط1،

2006، ص345.

(3) محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ص 27- 28.

لأن رائحة الطعام تدخل الحجرة وتملاً أنفي منذ الصباح الباكر... وبعض الشوارع الملتوية التي تصلني إلى بيت عمتي الثانية»⁽¹⁾.

أما المكان الآخر الذي تم استحضاره من ذاكرة السارد هو الحي الذي ترعرع فيه الصبي محمد فقد كان يمثل العالم الوحيد والواسع الذي يتعرف من خلاله الباردي على الأشخاص الآخرين ويتعلم من حكاياتهم ومغامراتهم فهو يقدس هذا المكان رغم بساطته وصغره بالنسبة للعالم «في تلك الأيام كان الحي الذي أعيش فيه عالمي الكبير لا شيء خارج هذا الصرح العاتي، بيوت من خشب وأبواب ثقيلة... وفوانيس تتوس كالشموع الذابلة»⁽²⁾.

ونجده أيضاً يستذكر المدرسة فهي تعد مرحلة مهمة من مراحل طفولة الصبي حيث نجد الباردي لا يذكر تفاصيل هذه الفترة «فأنا لا أذكر من مدرستي الابتدائية أشياء كثيرة»⁽³⁾ وبالرغم من عدم استذكار كامل التفاصيل المتعلقة بحياته المدرسية إلا أنه يتحسر ويشعر بخيبة كبيرة وهو يرى جدران ونوافذ تلك المدرسة تسقط ويحكي ذلك بحسرة كبيرة فيقول «سقط الباب الحديدي الذي كنا أمامه نقف، ننتظر الدخول إلى المدرسة... ترتقي بنا إلى الباب الداخلي للمدرسة»⁽⁴⁾. ومن هنا نخلص إلى القول بأن السارد يحاول جاهداً عبر كامل صفحات حنة بأن يروي لنا مدى حنينه واشتياقه للأماكن التي ترعرع وتعلم وفرح وحزن فيها، فهو يشكل لنا فضاء لغويا موازيا لمكان اندثر وتلاشى في الواقع وبقي مبنياً بجميع تفاصيله وأشكاله في ذاكرته.

(1) المصدر السابق، ص 34.

(2) المصدر نفسه، ص 65.

(3) المصدر نفسه، ص 151.

(4) المصدر نفسه، ص 151.



خاتمة

خاتمة:

لا يكاد يختلف اثنان في أن الرواية سجلت حضوراً قوياً في الساحة الأدبية والنقدية على حد سواء، ومنه فقد خلقت لنفسها وللأجناس الأدبية النابعة منها كالرواية السيرية والسير ذاتية الروائية مساحة واسعة، فإذا كانت الروايات العالمية قد امتلكت الوسائل والتقنيات والأدوات الإجرائية الحديثة التي مكنتها من أن تتبوأ هذه المكانة وأن تفرض استقلاليتها في الرؤى والتصور، فإن الرواية السيرية العربية لا تقل قيمة عن هذه النصوص الإبداعية العالمية.

وفي خاتمة هذا البحث أود أن أحمل بعض النتائج المتوصل إليها بعد الدراسة فهي تمثلت فيما يلي:

- يدور مفهوم الذاكرة في جل المعاجم اللغوية حول حفظ الشيء وعدم نسيانه والاحتفاظ به وتذكره عند الحاجة .

- عرفت الذاكرة تطوراً ملحوظاً عبر السنين فقد ارتبطت بالفلسفة قديماً ومنه ارتبط مفهومها بالرب أي الآلهة.

- ارتبطت الذاكرة بعلاقة وطيدة مع الأجناس الأدبية كالشعر والمذكرات والاعترافات والرواية والسيرة الذاتية والرواية السيرية، فنجد بأن هذه الأجناس لا تكاد تتسج خيوط عباراتها إلا بمساندة ومساعدة للذاكرة.

- تعد الرواية السيرية حنة من أكثر الإبداعات التي اشتغلت على الذاكرة فهي لا تخلو من استحضار الذكريات القديمة من بداية عباراتها الأولى، حيث أطر خطاب الذاكرة بنية الشخصية وساهم في بنائها.

- استطاعت الذاكرة أن تخيل لنا الكثير من الوقائع وهذا راجع إلى طبيعتها المحدودة القائمة على الانتقاء أولاً، وإلى الاتكاء على الذاكرة الغيرية ثانياً مما يجعل السارد الأصلي يتراخ إلى المرتبة الثانية أحياناً أو الثالثة أحياناً أخرى.

- استطاع الباردي أن يشتغل على الذاكرة التراثية ممثلة في نص ألف ليلة وليلة، منا أثمر توالدا حكايا ذاكراتيا.

- إن محمد الباردي استطاع إلى حد ما أن يبني لنا بواسطة الذاكرة عالما روائيا خياليا عبر من خلاله على واقع المجتمع الذي كان يعيش فيه من خلال فترة طفولته وكذلك واقعه الذي عاشه.

وفي الأخير أقول أن هذه الدراسة لن تكون الأخيرة بإذن الله ما دمنا نطمح دائما إلى توسيع معارفنا وتوسيع مجال دراستنا، لذا فأفاق البحث مازالت مفتوحة في هذا الحقل الخصب.

ملحق

التعريف بالكاتب محمد الباردي:

هو روائي وباحث وناقد أستاذ التعليم العالي في الجامعة التونسية.

- رئيس جمعية مركز الرواية العربية بقابس.

- منشغل بقضايا الرواية والسرد عامة.

أصدر روايات من بينها:

- حوش الخريف.

- على نار هادئة.

- الكرنفال جائزة كومار الذهبي 2005.

وله من المؤلفات النقدية:

- حنا مينة كاتب الكفاح والفرح.

- الرواية العربية والحادثة.

- عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي.

ملخص الرواية:

تدور أحداث ووقائع السيرة الذاتية الروائية حنة التي بين أيدينا إلى استتطاق الذاكرة من أجل استحضار جل مراحل طفولة الشخصية الرئيسية، حيث يقوم هذا الأخير بوصف طفولته بداية بعائلته الصغيرة المتكونة من أب وأم وأخت، فهو يذكر لنا كيف كانت معيشتهم بين الحقول والمدينة، وما طرأ عليهم من مشكلات من أجل العيش بطريقة حسنة، فنجدته يتألم لحال أمه على إخوانه الذين كانوا يموتون بسبب الفقر وعدم توفر المال، لشراء الدواء وينطلق في فصل آخر ليحدثنا عن جيرانه وأبناء الرحبة وأصدقاء العمود الكهربائي منهم قدور، والطيب الفوال، ابن الحوزي، فهؤلاء كلهم كان لمحمد مغامرات معه حيث نجد بأن جل أحداث هذه الشخصيات الثانوية تتعلق بتعليم الباردي طريقة إبراز ذاته الجنسية فقد كانت حكاياتهم متعلقة بالنساء وعالم المرأة.

ونجده أيضا يسرد لنا مغامراته مع جارته جنات، التي فقدت زوجها وهي أم لثلاث بنات، وكيف كانت تحتمي بجارها ويظهر ذلك عندما فقدت زوجها في ليلة شتوية فقد استجذبت به للبحث عنه، وكذلك عندما أراد خادمها أن يستغلها فكان لوالد الشخصية الصدارة في حماية جنات، ويذكر السارد أيضا مغامراته مع أبناء جده من أمه حين كانوا يسرقون غنائم الحقول من تمر وفاكهة.

بالإضافة إلى أن السارد لم يركز على أحداث مغامراته فحسب، بل هو يقوم باستحضار ما كان له وقع على نفسه فنجده يذكر حكاية السمك مع زوجته التركية، وكذلك يذكر عرس الحلوة حوبتة على حد تعبيره وكيفية إقامة الأعراس في المنطقة المحددة لهم، ولم يكتف بذلك فقد راح يصف الحارة اليهودية وكيف كان أهلها وأولادها يقيمون الشعائر الدينية وكيف كانت نساؤهن تلبس أحلى الألبسة وتتعطر بأرقى العطور.

ويظهر أيضا مغامرات وحكايات أصدقائه، فمثلا نجده يروي حكاية قدور مع عبلة البنت العجربة التي ليس لديها من يحميها، ويذكر أيضا قصة زينب العرجاء وهي زوجة أب الطيب الفوال وكيف استطاعت أن تدخل إلى قفص الزوجية، ويذكر أيضا كيف احتلت البيت بعد موت زوجها، واستطاعت أن تتخذ من ربيها الطيب الفوال زوجا لها بحجة أنه صغير ولا يعرف شيئا عن عالم الزواج والنساء.

وكذلك يروي لنا حكاية التيبب الذي أحضره جد الطفل معه، ليجعل منه خادما يسانده في الحقل ويرعى مواشيه، وما هي إلا أيام حتى اكتشف خيانتة، وبعد طرده يستمر السارد في روايته عنه وكيفية سرقة الأحمرمة وتسليمها للسرك الذي اشتغل فيه التيبب، والذي وقع فيه غرام الصبية العجربة، ولم يكتف بهذا بل ذكر أيضا كيف كان يقيم العزومات على حساب كلاب السمك، حيث يذكر بأنه شارك في هذه المغامرة وتذوق طعم الكلب والشراب المسكر وعودته إلى المنزل في أسوأ أحواله.

ونجد أيضا بأن السارد لم ينس ذكر أهم التفاصيل عن عائلته، ويظهر ذلك من خلال ذكر سبب تسمية جده بالفريك، وجاءت القصة على لسان أمه وأيضا عمته العمياء، وكيف

كانت تدافع على أمه مع زوجة أب زوجها، حيث وصفها بأنها لا يمكن أن تدخل معركة إلا وخرجت منها فائزة فالطفل، لم ينس سبب طلاق عمته من زوجها الأعمى فنجده يروي لنا القصة في بضعة أسطر.

بالإضافة إلى أنه لم ينس استذكار مراحل دراسته في الابتدائية، وذكر كيف كان يعامله أستاذه ويصفه بالكسول والخجول، إلا أننا نجد في فصل من فصول حنة ينكر ذلك الكسل والخجل من خلال أنه أصبح من أفضل تلامذة أستاذه.

ونخلص إلى القول بأن محمد الباردي وهو في الخمسين من عمره أراد أن يرجع بالذاكرة إلى الماضي من أجل تذكر أجمل اللحظات والمواقف والأحداث التي تعلق بطفولته، وكان لها أثر كبير على نفسيته ومستواه الاجتماعي والثقافي فقد اقتدى بخاله المعلم وكان له حافزا في حياته إلى أن أصبح مثله.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المطابع والمراجع

1- المصادر:

- محمد الباردي، حنة سيرة ذاتية روائية، ط¹، مركز الرواية العربية للنشر والتوزيع، تونس، 2010.

2- المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

- أمّنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط²، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.

- أنور محمد الشرقاوي، علم النفس المعرفي المعاصر، ط²، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

- جابر عبد الحميد وآخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

- حورية لنقر، الطفل في حنة لمحمد الباردي، ط¹، ضحى للنشر والتوزيع، 2013، تونس.

- الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلمات السبع، مج¹، 1993.

- محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت.

- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ط¹، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2003.

- محمد صابر عبيد، التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة، دار نبوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2012.

- محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- سوزان رمضان الشوا، تقنيات الذاكرة، ط¹، 2006.

- عدنان يوسف العنوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ط¹، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

- عبد الله إبراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
- عبد القادر الشاوي، الكتابة الوجود السيرة الذاتية في المغرب، إفريقيا للنشر، 2000.
- رافع النصر الزعول، عماد عبد الرحيم الزعول، علم النفس المعرفي، دار الشروق.
- رفعت سعيد، مجرد ذكريات، دار المدى للطباعة والنشر، مصر، 1999.
- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، (التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2006.

ب - المراجع المترجمة:

- أندريه موروا، أوجه السيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.
- جوناثان كيه فوستر، الذاكرة مقدمة قصيرة جدا، تر: مروة عبد السلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- لورن بوتلي، الذاكرة أسرارها وآلياتها، تر: عز الدين خطابي، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012.
- مادلين بيرلي آلن، مهارات تنشيط الذاكرة، تر: بشير العيسوي، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض.
- ماري جوزيه كوشاير، الذاكرة والنجاح، تر: عمر كربوج، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة، 1992.
- فليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994.

4- المجلات والدوريات:

- شادية شقروش، شظايا الذاكرة في قصيدة شهرزاد الليلة الثانية بعد الألف لعبد الحليم مخالفة، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، 19 جوان 2017.

5- الأطروحات والرسائل:

- كريمة غيتري، جمالية الرواية السيرية رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2012.
- سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطني في نابلس، فلسطين، 2010.

6- القواميس:

- أحمد ابن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، مج1.
- يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2006.
- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 2002.
- مجيد طراد، المعجم المفضل في المترادفات في اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- ابن منظور، لسان العرب، ط4، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، مج6.
- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010.
- محمد التونجي، المعجم المفضل في الأدب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.
- عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.

- فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين،
الجمهورية التونسية، 1988.

7- المواقع الإلكترونية:

- عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية،
من الموقع: 19,10,2015,15:59, www.startimes.com.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
/	شكر وعرهان
أ	مقدمة:
05	مدخل: الذاكرة بين اللغة والإصطلاح:
07	1- الذاكرة لغة:
09	2- الذاكرة اصطلاحا:
09	1-2 الذاكرة في الثقافة الغربية القديمة:
11	2-2 الذاكرة عند النقاد الغرب المحدثين:
11	أ- جوناثان فولتر:
11	ب- أما هابر لاندت (Haberlandt):
11	ج- وعرف كل من بارون (Baron) وفيلدمان (Feldman):
11	و- وجاء مادلين بيرلي آلن
12	3- الذاكرة عند النقاد العرب المحدثين:
12	أ- أنور محمد الشرقاوي
13	ب- عدنان يوسف العتوم
13	ج- محمد قاسم عبد الله
13	د- رافع النصر وعبد الرحيم الزعول
14	هـ- جابر عبد الحميد
16	الفصل الأول: الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية
17	1- الذاكرة وعلاقتها بالأجناس الأدبية:
17	1-1 الذاكرة والسيرة الذاتية:
19	1-2 الذاكرة، المذكرات والاعترافات:
21	1-3 علاقة الذاكرة والشعر:
22	1-4 علاقة الذاكرة بالرواية:

26	5-1 الذكرة والرودة السيرة:
29	الفصل الثاني:
31	1- خطاب الذكرة وبناء الشخصيات:
31	1-1 الذكرة والبعد الجسدي:
33	2-1 الذكرة والبعد النفسي:
35	3-1 الذكرة والبعد الاجتماعي:
37	2- التذويت في الذكرة:
39	3- خطاب الذكرة والتوالد الحكائي:
44	4- خطاب الذكرة والتراث السردى:
45	5- ذكرة الجسد:
47	6- الذكرة والحناء:
49	7- الذكرة وهاجس المكان:
53	خاتمة:
56	ملحق.
59	قائمة المصادر والمراجع:
64	فهرس الموضوعات:

ملخص البحث:

يشغل هذا البحث على تحليل السيرة الذاتية الروائية حنة للكاتب التونسي محمد الباردي حيث اشغل على كيفية توظيف الذاكرة في جنس أدبي وكيف تستغل هذه الأخيرة لاستحضار واستذكار أهم ما مر به المؤلف في طفولته. وقد تأسس على مدخل وفصلين.

مدخل يتمحور حول مفهوم الذاكرة بين اللغة والاصطلاح وفصل أولي يدور حول علاقة الذاكرة بالأجناس الأدبية الأخرى كالرواية والرواية السيرية والسيرة الذاتية، أما الفصل الثاني فقد خصص للتطبيق على الرواية أي استخراج مواطن استحضار المؤلف للذاكرة. وقد حد هذين الفصلين كل من المقدمة في بداية البحث وخاتمة في نهايتها، والتي كانت عبارة عن حوصلة ومجموع استخلاصات ونتائج توصلنا إليها عبر مراحل إنجازنا لهذا البحث.

Résumé :

Ce travail de recherche concerne l'analyse biographique du roman «Henné» de l'écrivain tunisien Mohamed El Bardi, qui s'est penché sur la modalité d'usage de la mémoire dans un genre littéraire, et comment exploiter cette dernière afin de se rappeler et de souvenir des événements importants dont l'auteur a vécu durant son enfance.

Notre étude est divisée en une introduction et deux chapitres.

L'introduction a pour objet la définition lexicale et contextuelle du concept de mémoire, et un premier chapitre sur la relation de la mémoire avec les autres genres littéraires tel que le roman, le roman biographique et le roman autobiographique, quant au deuxième chapitre il a été dédié au volet pratique qu'est la mise en lumière des endroits où l'auteur a fait usage de la mémoire.

Ces deux chapitres ont été précédés et suivis par introduction et la conclusion, cette dernière représente un résumé et l'ensemble des conclusions et résultats que nous avons atteints les étapes de notre recherche